

الطقوس اليهودية
قراءة في العهد القديم
الدكتور
اسامة عدنان يحيى



الطقوس اليهودية: قراءة في العهد القديم

الطقوس اليهودية قراءة في العهد القديم

الدكتور

اسامة عدنان يحيى

استاذ التاريخ القديم المساعد/ كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية



اشوربانيبال للكتاب

الطقوس اليهودية: قراءة في العهد القديم
د. اسامة عدنان يحيى

الطبعة الاولى ©: ٢٠١٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر: اشوربانيبال للكتاب

الترقيم الدولي (ISBN): 978-9922-20-018-7

ان الدار غير مسؤولة عن اراء المؤلف وافكاره انما يعبر الكتاب عن اراء مؤلفه
العراق-بغداد-شارع المتنبى

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على اشرطة أو اقراص مضغوطة أو استخدام اية وسيلة نشر اخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون اذن خطي من الناشر.

Prevent copying or use of any part of this book by any means graphic or electronic or mechanical, including photography and recording on tape or CD-ROM, or use any other means publishing, including the preservation and retrieval of information, without the written permission of the publisher.

للحصول على نسخة الكترونية



مفهوم العبادة اليهودية... قراءة نصية.

تشير الأدلة المتوفرة ان ديانة يهوه الواردة في العهد القديم لم تأت من الخارج مع جماعات مهاجرة كما يفترض هذا الكتاب بل تطورت داخل المؤسسة الدينية الكنعانية، فالمسح الآثاري لجميع المراكز السكانية في فلسطين من اكبر المدن الى اصغر القرى، لم يجد اثرا للمعتقدات والطقوس التوراتية خلال كامل المدة السابقة على السبي البابلي ليهودا؛ فلا هياكل للاله يهوه التوراتي، ولا معابد، ولا مذابح، ولا نقوش تذكره بالطريقة التي تقدمه بها الاسفار التوراتية. وبالمقابل كان هناك في فلسطين اله اسمه يهوه، ولكنه غير يهوه اله العهد القديم وفي اهميته وصفاته، لأنه يظهر في نقوش قليلة الى جانب بقية الالهة الكنعانية مثل: ايل، وبعل، وتذكر الى جانبه زوجته المدعوة عشيرة، والتي كانت في النصوص الكنعانية والاوغاريتية زوجة الاله ايل. ففي موقع اجرود جنوب فلسطين، اكتشف المنقبون عام 1975 عددا من النقوش الكتابية على الفخار، تعود الى القرن الثامن قبل الميلاد، يرد فيها اسم الاله يهوه بين عدد من الالهة الكنعانية الاخرى مثل: ايل، وبعل، وعشيرة. ونقرأ في احد هذه النقوش ما يأتي: "فليباركك الاله يهوه وعشيرته (زوجته عشيرة)، ليباركك يهوه، ويحفظك ويبقى الى جانبك"⁽¹⁾.

ان العهد القديم يقدم تفاصيل عن عبادات وممارسات دينية تمثل عبادة يهوه التوراتي وليس الكنعاني وهذا ما سيتم تناوله في هذه الدراسة، فبحسب ما يتوفر من مادة نصية في صفحات العهد القديم كان الواجب الرئيس للإنسان في الديانة اليهودية⁽²⁾ هو عبادة الله (يهوه): "ماذا يطلب منكم الرب سوى ان تتقوه،

⁽¹⁾ فراس السواح، ارام دمشق واسرائيل، (دمشق: دار علاء الدين، 1995)، ص 169-170.

⁽²⁾ ان دراسة الديانة اليهودية في صيغتها النهائية لا يمكن التوصل اليها الا عن طريق نصوص العهد القديم، وان أهم الترجمات لهذا الكتاب من العبرية إلى اليونانية تسمى بـ السبتوجنت (Septuagint) أو (الترجمة السبعينية) وقد تمت في سنة 250 قبل الميلاد. وحول النص الكامل للنص انظر:

واسلكوا في كل طريقه، وتحبوه، وتعبدوه من كل قلوبكم، ومن كل نفوسكم، وتطيعوا وصاياه، وفرائضه..."⁽³⁾. والنبي صموئيل يوصي الاسرائيليين⁽⁴⁾: "عليكم بتقوى الرب

The Septuagint,(London,1851)

اما الترجمة الثانية كانت باللاتينية وتسمى "لاتن فولغاتا" Latin Vulgate وقد كتبت بين (383-405م) وهي الترجمة المنسوبة الى القديس جيروم. حول النص الكامل للفولغاتا انظر:

The Holy Bible, Translated From the Latin Vulgate,(Rheims,1609);

وفي عام 1611 م ظهرت ترجمة أخرى معروفة باسم (ترجمة الملك جيمس). وللنص الكامل انظر:

The King James Version Of The Holy Bible,(Cambridge,1760);

ومن اجل الحصول على ترجمة عربية ممتازة انظر: الكتاب المقدس، (بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط، 1995): كما يمكن الرجوع الى النصوص مع تفسيراتها في: بروس بارتون واخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، (لندن: شركة ماستر ميديا، 1998). وفضلا عن الكتاب المقدس هناك عدد كبير من الكتابات اليهودية منها كتابات بعض المؤلفين اليهود من امثال يوسيفوس فلافيوس، ويعقوب الفورجاني وغيرهم: فضلا عن نصوص منقولة منها ترد في مصادر مسيحية والتي ترجمت في:

William Hone, The Apocryphal New Testament,(New York,1890); James M. Robinson, The Nag Hammadi Library,(New York,1996); Dan Cogliano, The King James Version of The Holy Bible with Apocrypha,(2004);

ابراهيم سالم الطرزي، ابوكريفا العهد الجديد: اناجيل ابوكريفا المخفية. (القاهرة: بلا. مط، 2001)، ج:1؛ ابراهيم سالم الطرزي، ابوكريفا العهد الجديد: اناجيل الخدمة والحكمة الغنوصية لمكتبة نجع حمادي، (القاهرة: بلا. مط، 2005)، ج:2؛ ابراهيم سالم الطرزي، ابيجرافا وابوكريفا العهد القديم: اسفار جنة عدن المنسية واسفار قصة ادم وحواء، (القاهرة: بلا. مط، 2006)، ج:1؛ سهيل زكار، الاناجيل: النصوص الكاملة، (دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، 2008).

⁽³⁾ تفتية، 10: 12-13؛ انظر نصوص مشابهة في: 1: 11، 8: 13: 4.

⁽⁴⁾ لا يمكن لنا حالياً وفق المعطيات والبيانات الاثارية ان نقول ان الاسرائيليين القدماء كانوا في اصلهم هجرة قادمة من مصر، فالأدلة الاثارية المتوفرة حالياً لا توجي نهائياً بوجود هجرة سكانية قدمت الى ارض كنعان وان الدلائل الحديثة فندت تماما الفرضية التقليدية التي قدمها وليام فوكسويل اولبرايت وتلاميذه، ومنذ ثمانينيات القرن العشرين اكد نيلز بيتر لمكي ان الاثار الكنعانية لا تشير ابدأ الى أي فجوات أو انقطاعات، في وقت اكد ماكس ميللر الى كون اسرائيل التاريخية عبارة عن قبائل كنعانية. للمزيد من الاطلاع حول مسألة اصل الشعب الاسرائيلي وعلم الاثار والتي لا مجال الى ذكر تفاصيلها في هذه الدراسة انظر:

وعبادته بأمانة من كل قلوبكم، متأملين العظائم التي صنعها معكم"⁽⁵⁾. واحدهم يوصي ابنه قائلاً له: "واضب على تقوى الرب اليوم كله"⁽⁶⁾. وتقدم صلاة داود(1009-969 قبل الميلاد)⁽⁷⁾ تصورات جيدة عن مفهوم العبادة اليهودية، التي تبدأ بالقول:

"قدموا الشكر للرب وادعوا باسمه

عرفوا بأفعاله بين الشعوب

انشدوا له، ورتلوا

حدثوا بكل عجائبه تباهاوا باسمه القدوس

لتفرح قلوب طالبي الرب

اطلبوا الرب وقوته

والتمسوا وجهه دائماً

اذكروا عجائبه التي صنع

معجزاته واحكامه التي نطق بها".

Israel Finkelstein and Nell Asher Silberman, The Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the Origin of Its Sacred Texts,(New York, 2002); Israel Finkelstein, The Forgotten Kingdom: The Archeology and History of North Israel,(Atanta,2013);

كيث ويتلام، اختلاق اسرائيل القديمة: اسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة: سحر الهنيدي، مراجعة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة: 249،(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1990)؛ توماس ل. تومسون، التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي، ترجمة: صالح علي سوادح،(بيروت: بيسان للنشر والتوزيع،1995)؛ السواح، آرام دمشق واسرائيل؛ كيث ويتلام وآخرون، الجديد في تاريخ فلسطين القديمة، ترجمة: عدنان حسن وزياد منى،(بيروت: قدمس للنشر والتوزيع،2004).

⁽⁵⁾ صموئيل الاول،12: 24.

⁽⁶⁾ امثال،23: 17.

⁽⁷⁾ حول تحديد تاريخ حكم داود المفترض انظر: السواح، آرام دمشق واسرائيل،ص127. والحقيقة اننا لا نمتلك أي مادة نصية اصلية أو اثارية حول ملك يدعى داود وابنه سليمان حكما كامل فلسطين القرن الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد، وما يرد عن هذين الملكين من اخبار في العهد القديم لا يمكن التأكد منها من أي مصدر معاصر، أو يمكن ان تُسندها المادة الاثرية، لذا سيتم التعامل مع المادة التوراتية هنا ليست كحقائق تاريخية بل كمادة دينية كُتبت للتعريف بعقائد متنوعة.

ثم يستمر في قوله:
"هو الرب الهنا"
احكامه تملأ الارض كلها".

ويقول بعد ذلك:

"رتموا للرب يا كل شعوب الارض
بشروا بخلاصه من يوم الى يوم
اعلنوا مجده بين الامم
وعجائبه بين الشعوب كلها
فأن الرب عظيم وجدير بكل حمد".

والرب:

"الجلال والهاء امامه
والقوة والجمال في مقدسه
قدموا للرب يا جميع الشعوب
قدموا للرب مجدا وقوة
قدموا للرب المجد الواجب لاسمه".
وهذا الاله المتعالى يجب الخوف من جلاله:
"ارتعدي امامه يا كل الارض
هو ذا الارض قد استقرت ثابتة
لتفرح السموات ولتبتهج الارض
وليناد بين الامم ان الرب قد ملك
ليعج البحر وكل ما يحويه
ليبتهل الحقل وكل ما فيه
عندئذ تترنم اشجار الغابة في حضرة الرب
لأنه جاء ليدين الارض

احمدوا الرب لأنه صالح
ورحمته الى الابد تدوم
قولوا: انقذنا يا اله خلاصنا
واجمع شملنا من بين الامم⁽⁸⁾
وخلصنا فرفع الشكر لاسمك القدوس
ونفتخر بتسبيحك
مبارك الرب اله اسرائيل من الازل الى الابد"⁽⁹⁾.

ويقال ان داود اوصى ابنه سليمان(931-969 قبل الميلاد)⁽¹⁰⁾ بعبادة الرب: "اعرف اله ابيك، واعبده بكمال قلب، وبنفس راغبة، لان الرب يتفحص جميع القلوب، ويفهم كل تصور وفكر، فإن طلبته تجده، وان تركته ينبذك الى الابد"⁽¹¹⁾. وفي صلاة ثانية منسوبة الى داود يقول هذا الملك: "والان نحمدك يا الهنا ونسبح اسمك الجليل"⁽¹²⁾.

كانت التقوى في المفهوم اليهودي تتضمن الصلاة، والقربان: "يتقون الرب الذي اخرجهم من ديار مصر بقوة عظيمة، وذراع مقتدرة، وله وحده يسجدون، ويقربون المحرقات، ويطيعون الفرائض، والاحكام، والشريعة، والوصية التي كتبها لهم ليمارسوها كل حياتهم، ولا يتقون الهة اخرى، ولا ينقضون العهد الذي ابرمه معهم... انما يتقون الرب الههم، وهو ينجيهم من جميع اعدائهم"⁽¹³⁾. وداود يلخص التقوى في الصلاة المنسوبة اليه:

⁸ من غير شك ان هذا السطر يشير الى ان نص الصلاة كتب بعد عودة المسيبين المفترضة الى اورشليم في العصر الاخميني، ثم نُسب الى داود.

⁹ اخبار الايام الاول، 16: 8-36.

¹⁰ حول تحديد تاريخ حكم سليمان انظر: السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص127. انظر الملاحظة رقم(11).

¹¹ اخبار الايام الاول، 28: 9.

¹² اخبار الايام الاول، 29: 13.

¹³ الملوك الثاني، 17: 36-39.

"احضروا تقدمة وتعالوا امثلوا في حضرته
اسجدوا له في زينة مقدسة"⁽¹⁴⁾.

كانت من اهم واجبات الانسان تجاه الرب التي تبرهن على التقوى هي القرايين التي تعد ركنا رئيسا من اركان العبادة اليهودية، وفي العهد القديم تستخدم كلمتا الذبيحة والتقدمة بشكل مترادف للتعبير عن القران، اذ كانت بعض الذبائح تسمى تقدمات مثل: تقدمة المُحرقة. وهناك عدة انواع من التقدّمات مثل: تقدمة الدقيق، تقدمة الشكر... الخ. والمهم في الامر ان على كل شخص ان يقدم عطيه لله على المذبح، ففي العهد القديم كانت الذبيحة هي الطريق الوحيد للاقترب الى الله، واستعادة الشراكة معه⁽¹⁵⁾؛ ولا يمكن الحصول على رضا الرب الا بها، ولهذا نجد كاتباً يهودياً متأخراً عاش في العصر الهلنستي (334-30 قبل الميلاد) يقول: "في هذا الزمان لا رئيس لنا ولا نبي ولا قائد، لا مُحرقَة ولا ذبيحة ولا تقدمة ولا بخور، ولا موضع لنا لنقرب البواكير امامك لننال رضاك"⁽¹⁶⁾. ومن اجل ان ينال الانسان رضا الرب لابد من الاكثار من تقديم القرايين: "من حفظ الشريعة يُكثّر من تقديم القرايين، ومن راعى الوصايا يقدم ذبيحة السلامة"⁽¹⁷⁾، لان الذبائح والقرايين تفرضها الشريعة⁽¹⁸⁾. وان تقديم القران هو بالدرجة الاساس تكريم للرب: "اكرم الرب من مالك، ومن اوائل غلات محاصيلك، فتمتلى اهرأوك وفرة، وتفيض معاصرك خمرا"⁽¹⁹⁾؛ ويشوع بن سيراخ يقول ان على الانسان ان يقدم للرب ما يستحق من القرايين⁽²⁰⁾، كما ان عليه ان يكرم الرب بعين سخية، اذ لا يجوز ان يبخل الانسان

⁽¹⁴⁾ اخبار الايام الاول، 16: 29.

⁽¹⁵⁾ بارتون واخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 217.

⁽¹⁶⁾ دانيال اليوناني، 3: 38.

⁽¹⁷⁾ يشوع بن سيراخ، 35: 1.

⁽¹⁸⁾ يشوع بن سيراخ، 35: 7.

⁽¹⁹⁾ امثال، 3: 9.

⁽²⁰⁾ يشوع بن سيراخ، 14: 11.

على الرب ببواكير غلاله⁽²¹⁾. ومن المعروف ان قربان الدقيق يقدم من اجل تقديم الاكرام والاحترام للرب⁽²²⁾: "تقدمة دقيق، وتقدمة سكب لتقربوهما للرب الهكم"⁽²³⁾: ونقرأ عن رجل يدعى منوح من بلدة صُرعة قدم هو وزوجته قربان الحبوب للرب: "اخذ منوح جديا، وتقدمة حبوب، وقرههما على الصخرة للرب. فقام الملاك (الذي تجلى لهما) بعمل عجيب على مشهد من منوح وزوجته، فقد صعد في ألسنة اللهب المرتفعة من المذبح نحو السماء، على مشهد منهما، فخرأ على الارض ساجدين"⁽²⁴⁾. ويمكن ان نلاحظ جيدا ان منوح قدمقدمة الحبوب للرب، وكانت تقدمة الحبوب تتكون من: حبوب وزيت ودقيق على شكل اقراص، وتحرق على المذبح مع المُحرقة (الجدي)، وهذه التقدمة تعبر عن الاكرام والاحترام والعبادة لله⁽²⁵⁾. ولا يجوز للإنسان في التشريع اليهودي ان يمثل امام الرب: "بأيد فارغة"⁽²⁶⁾. والقرايين تقدم من الاسرائيليين للرب في السر والعلن، فعندما كان الاسرائيليون في مصر، وهو امر لا نمتلك أي دليل بشأنه، كانوا يقدمون قرايينهم للرب سرا: "طول ذلك الوقت كان ابناء شعبك الصالحون يقدمون لك الذبائح في السر..."⁽²⁷⁾؛ كما انهم يقدمونه سواء كانوا داخل بلادهم ام خارجها: "يقرب الي شعبي المشتت ذبيحة من وراء انهار كوش حيث يقيم المتضرعون الي"⁽²⁸⁾. كما ان الاسرائيليين المسبيين في بابل جمعوا ذات مرة مالا من كل واحد حسب قدرته وارسلوه الى اورشليم، الى الكاهن الاعلى يوياقيم بن حلقيا بن شلوم والى جميع الذين معه في المدينة؛ وكتبوا رسالة الى سكان

²¹ يشوع بن سيراخ، 35: 10.

²² بارتون واخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 219.

²³ يوثيل، 2: 14.

²⁴ قضاة، 13: 19-20؛ انظر ايضا: السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص 104.

²⁵ بارتون واخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 517.

²⁶ خروج، 34: 20؛ انظر نضا مماثلا لدى: يشوع بن سيراخ، 35: 6.

²⁷ الحكمة، 18: 9.

²⁸ صفيانيا، 3: 10.

المدينة يوضحون فيها سبب ارسالهم الاموال والتي تضمنت: "ها نحن نرسل اليكم مالا فاشتروا به مُحرقات وذبائح تكفير عن الخطيئة، وبخورا، واصنعوا قرايين وقدموها على مذبح الرب الهنا"⁽²⁹⁾. وحسب رواية يهودية كان على الشعب الاسرائيلي ان يقدم قرايينه الى الرب عند دخولهم ارض كنعان: "متى استوطنتم الارض التي انا اهبها لكم مسكنا، وقدمتم لي قربان مُحرقه، أو ذبيحة وفاء لنذر، أو تقدمه طوعية، أو قرايين في اعيادكم للحظوة برضا الرب وسروره..."، يعقب ذلك شرح كامل للقرايين الواجب تقديمها للرب، ففي حالة تقديم اضاحٍ من البقر أو الغنم فليقرها المقرب مع تقدمه مؤلفة من عُشر من الدقيق المعجون بربع الهين (حوالي لتر) من الزيت، وسكيب خمر مقداره ربع الهين، يُصعده مع المحرقة أو الذبيحة للحمل الواحد. اما في حالة الاضحية المقدمة كبشاً فعلى المقرب ان يقرب تقدمه مؤلفة من عُشرين من الدقيق معجونين بثلاث الهين (حوالي 1.33 لتر) من الزيت، وسكيب خمر مقداره ثلث الهين، يُصعدها مع المحرقة من اجل الحصول على الحظوة برضا الرب ومسرته. واذا كانت الاضحية المقدمة ثورا من اجل ذبيحة المُحرقة، أو ذبيحة وفاء لنذر، أو ذبيحة سلامة للرب، فيجب ان يُصعّد مع الثور تقدمه مؤلفة من ثلاثة اعشار من الدقيق المعجون بنصف الهين (حوالي لترين) من الزيت، وسكيب خمر مقداره نصف الهين، ليكون وقود رضا ومسرة للرب⁽³⁰⁾. ويتحدث العهد القديم عن رجل افرايمي يدعى القانة بن يروحام كان يقيم في رامتايم صوفيم في جبل افرايم، وكان من عادة القانة ان يذهب من مدينته مع عائلته في كل عام ليسجد ويقدم ذبائح للرب في شيلوه⁽³¹⁾. وعندما التقى صموئيل بشاؤول (1030-1009 قبل الميلاد)⁽³²⁾ ابلغه بالذهاب الى بلوطة تابور، وهناك سيجد ثلاثة رجال في طريقهم الى بيت ايل ليقدّموا قربانا لله

⁽²⁹⁾ باروك، 1: 6-10.

⁽³⁰⁾ عدد، 15: 1-11.

⁽³¹⁾ صموئيل الاول، 1: 1-3.

⁽³²⁾ حول تحديد تاريخ حكم شاؤول انظر: السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص 127.

يحمل احدهم ثلاثة جداء، ويحمل الثاني ثلاثة ارغفة، ويحمل الثالث زق خمر⁽³³⁾. كما يبلغ صموئيل شأؤول عليه ان يذهب قبله الى الجلجال لأنه سيذهب اليها ليقدم للرب مُحرقات، ويقرب ذبائح سلام⁽³⁴⁾. ونقرأ ان ابشالوم ابن داود استأذن والده بالذهاب الى حبرون للوفاء بنذره، فقد نذر عندما كان مقيماً في جشور انه اذا رده الرب الى اورشليم، فإنه يقدم له ذبيحة⁽³⁵⁾. ويصف ارميا تقديم الشعب القرايين للرب: "يقبل الناس من مدن يهوذا، واهل اورشليم، ومن ارض بنيامين، ومن السهل والجبل، ومن النقب حاملين مُحرقات، وتقدمات، وبخورا معطرا، وقرايين شكر الى هيكل الرب"⁽³⁶⁾. ويقال ان ايوب وهو رجل عاش في ارض تدعى عوص (تقع في الصحراء العربية أو الصحراء السورية شرقي فلسطين) كان ينهض مبكرا في الصباح ويقدم مُحرقات على عدد ابنائه قائلا: "لئلا يكون بني قد اخطأوا في قلوبهم، وجدفوا على الله"⁽³⁷⁾. فضلا عن ذلك قام العائدون من السبي بتشبيد مذبح للرب قدموا عليه الاضاحي بانتظام، كما قدموا تقدمات طوعية⁽³⁸⁾. كما قرب المسبيون القادمون الى اورشليم بقيادة عزرا عام 458 قبل الميلاد مُحرقات لإله اسرائيل بلغت: 12 ثوراً، و96 كبشاً، و77 خروفاً، و12 ماعزأ ذبيحة خطيئة⁽³⁹⁾. ويقال ان الاسرائيليين العائدين من السبي فرضوا على انفسهم جزية سنوية قدرها ثلث شاقل (حوالي 4غم)

³³ صموئيل الاول، 10: 3.

³⁴ صموئيل الاول، 10: 8.

³⁵ صموئيل الثاني، 15: 7-8.

³⁶ ارميا، 17: 26.

³⁷ ايوب، 1: 5.

³⁸ عزرا، 3: 5.

³⁹ عزرا، 8: 35.

فضة⁽⁴⁰⁾، تدفع لنفقات خدمة الهيكل، فضلا عن توفير خبز التقدمة، والتقدمة الدائمة، والمُحرقة اليومية، وقرايين السبت، ومطالع الشهور، والاعياد، والاقداص، وذبائح الخطيئة للتكفير عن اسرائيل، والقيام بصيانة بيت الرب، كذلك القرايين النباتية، والعشور، وبواكير الحصاد وغير ذلك من القرايين⁽⁴¹⁾. وكان الاسرائيليون القدماء يقدمون اموالهم الى الرب برضا كامل، فبعد ان امر الرب موسى بأن يخبر بني اسرائيل بضرورة تقديم تقدمات من اجل بناء مسكن الرب (خيمة الاجتماع)، يذكر العهد القديم ان الشعب قدموا ما يملكونه عن طيب خاطر: "اقبل كل من حثه قلبه، وكل من سخت نفسه، حاملين تقدمة الرب...". ومن ثم نقرأ عن كثرة الناس الذين قدموا ممتلكاتهم لإقامة هذا المسكن: "توافد الرجال مع النساء من ذوي النفوس السخية، متبرعين بأساور، واقراط، وخواتم، وقلائد، وغير ذلك..."⁽⁴²⁾. واخيرا يختم كاتب النص تلك الصورة المبهرة بقوله: "تبرع جميع الرجال والنساء من بني اسرائيل، ممن سخت قلوبهم، مقدمين شيئا للرب لتنفيذ كل العمل الذي كلف الرب موسى بالإشراف على انجازه"⁽⁴³⁾، هذا التبرعات، وهذه التقدمات للرب -التي تتناقض طبعا مع ذلك الشعب نفسه الذي شكك يوما برسالة الرب وطلب من هارون ان يصنع لهم الها- استمرت الى الصباح: "وظل الشعب يأتون كل صباح بمزيد من التبرعات". الى درجة ان تلك التبرعات زادت عن حاجة الصناع الماهرة فطالب موسى بالتوقف عن تقديمها!!، انها صورة رائعة لشعب سخي، صلب القلب،

⁽⁴⁰⁾ لا نعرف تحديدا ان كان هذا المبلغ المحدد يدفعه كل فرد، ام الشعب كله نظرا لغموض النص الذي يقول: "فرضنا على انفسنا جزية سنوية قدرها ثلث شاقل فضة، ندفعها لنفقات خدمة هيكل الهنا". وربما لقللة المبلغ المقدم يمكن ان نرجح ان المبلغ يدفعه كل شخص وليس كل الشعب.

⁽⁴¹⁾ نحما، 10: 32-39.

⁽⁴²⁾ خروج، 35: 21-22.

⁽⁴³⁾ خروج، 35: 29.

وغير مطيع للرب كما يصفه العهد القديم ذاته في مواضع كثيرة⁽⁴⁴⁾!!!
 "قالوا(الصناع) لموسى: ان الشعب يأتي بما يفيض عما نحتاج اليه لإنجاز العمل
 الذي امر به الرب"، فأمر موسى ان يعلنوا في المخيم بالامتناع عن تقديم التبرعات،
 فكف الشعب عن تقديمها، وكان ما لدى الصناع من مواد: "كافيا لتنفيذ العمل كله
 واكثر!!"⁽⁴⁵⁾. وعندما طلب داود من شعبه ان يتبرع بأمواله من اجل بناء معبد الرب،
 فإنهم قدموه بنفس راضية: "اغتبط الشعب بما قدمه عن رضا لانهم تبرعوا للرب
 بقلب كامل..."⁽⁴⁶⁾. وحين قرر يواش ملك يهوذا(837-800 قبل الميلاد) ان يرمم
 الهيكل: "فرح الرؤساء وسائر الشعب، وتبرعوا بالمال حتى امتلأ الصندوق"⁽⁴⁷⁾. ولما
 صدر امر كورش الكبير(529-559 قبل الميلاد)، بعودة المسيبين الى اورشليم-وهو
 مرسوم لا نقرأ عنه نهائياً في الوثائق الاخمينية ويرد فقط في العهد القديم- امر
 السكان بالتبرع من اجل بناء هيكل الرب⁽⁴⁸⁾. وقد تبرع بالفعل بعض رؤساء العائلات
 لدى وصولهم الى اورشليم لبناء بيت الرب في موقعه الاصلي، فقدم كل منهم حسب
 طاقته لخزانة العمل، فبلغت تبرعاتهم كما يوردها عزرا: 61.000 درهم من
 الذهب(500كغم)، و5000 من الفضة(حوالي 3 طن)، و100 قميص

⁴⁴ ان الرب ذاته يصف هذا الشعب المطيع بأنه عاق: "الى متى يمعن هذا الشعب في اهانتني، والى متى لا
 يصدقونني، على الرغم من معجزاتي التي اجريتها في وسطهم؟ سأبيدهم بالبوء...". انظر: عدد، 14: 11. ويقول
 الرب اليهودي ايضا: "اني عالم بعنادك(أي اسرائيل)، وان رقبته ذات عضل من حديد، وجهتك من نحاس".
 انظر: اشعيا، 48: 4. ويخاطب الرب حزقيال حول الشعب الاسرائيلي قائلاً له: "انا باعثك الى الابناء المتصلبين
 القساة". انظر: حزقيال، 2: 4. ثم يؤكد له انهم شعب عاصي، حزقيال، 2: 5؛ ومتمرد، حزقيال، 2: 6، 7، 8؛ 3: 9،
 26، 27؛ وهم جميعهم معاندون قساة القلوب، حزقيال، 3: 7. وان هذا الشعب عنيد الى درجة يصعب على الرب
 ذاته اخضاعه: "ان اسرائيل شعب كعجلة جامحة، فكيف يرعاها الرب كحمل في مرج رحب؟". انظر:
 هوشع، 4: 16.

⁴⁵ خروج، 36: 3-7.

⁴⁶ اخبار الايام الاول، 29: 9.

⁴⁷ اخبار الايام الثاني، 24: 10.

⁴⁸ عزرا، 1: 4، 6.

للكهنة⁽⁴⁹⁾. كما تبرع الاسرائيليون بفضة من اجل استئجار نحاتين، ونجارين من اجل تشييد الهيكل⁽⁵⁰⁾. ويذكر نحما ان بعض رؤساء العائلات قدموا لخزينة اموالا من اجل العمل في بناء الهيكل في عهد الملك الفارسي ارتخششتا الاول (424-465 قبل الميلاد) ربوتين (حوالي 170 كغم) من الذهب، و2200 منا (حوالي 1.33 طن) من الفضة، اما ما قدمه بقية الشعب فكان 6 ربوات (حوالي 510 كغم) من الذهب، و2000 منا (حوالي 1.25 طن) من الفضة، و67 قميصا للكهنة⁽⁵¹⁾. وتشير الروايات الى ان الاشخاص عادة لا يبخلون عن تقديم جزء مما يملكون لمعبد الرب، فهذا يهودي يدعى يواقيم وزوجته حنة قسموا ممتلكاتهم الى ثلاثة اقسام كان القسم الاول منه هو الذي يهمننا لانهم انفقوه على الهيكل وخدمه⁽⁵²⁾.

تعكس الديانة اليهودية في تصوراتها المتأخرة عن عالمية مثيرة وغير مسبوقة، يظهر فيها البشر اجمعون وهم يعبدون الله، فدمشق واسرائيل يعودون نادمين الى الرب: "في ذلك اليوم يرنوا الناس الى صانعهم، ويلتفتون بعيونهم الى قدوس اسرائيل، ولا يلتفتون الى المذابح التي صنعها ايديهم، ولا ينظرون الى تماثيل السواري والشموس، ولا الى مذابح البخور صنعة اصابعهم"⁽⁵³⁾. اما مصر فإنها هي الاخرى تتخلى عن عبادتها الوثنية و: "تحلف بالولاء للرب القدير"⁽⁵⁴⁾. بل ان المصريين سيعودون تائبين للرب: "يضرب الرب مصر، يضربها ويبرئها، فيرجع اهلها تائبين الى الرب، فيستجيب دعاءهم ويشفيهم"⁽⁵⁵⁾. وعلى غرار مصر تنتقل عدوى التوحيد وعبادة الرب الى اشور المدينة الاكثر كراهية للإسرائيليين، وكتبة العهد القديم: "يمتد

⁽⁴⁹⁾ عزرا، 2: 68-69.

⁽⁵⁰⁾ عزرا، 3: 7.

⁽⁵¹⁾ نحما، 7: 71-72.

⁽⁵²⁾ انجيل ميلاد مريم، 1: 5-6.

⁽⁵³⁾ اشعيا، 17: 8-7.

⁽⁵⁴⁾ اشعيا، 19: 18.

⁽⁵⁵⁾ اشعيا، 19: 22.

طريق من مصر الى اشور، ومن اشور الى مصر، فيعبد المصريون والاشوريون الرب معا⁽⁵⁶⁾. وهكذا تعود جميع الامم الى مخافة الرب، فيدفنون اصنامهم ويسبحون الرب ويعترفون له كشعبه⁽⁵⁷⁾. ان هؤلاء التائبين لا يكتفون بعبادة الرب بل يقدمون له القرابين والنذور، اذ تتحدث صلاة عن واجب كل شعوب الارض ان تقدم القرابين للرب: "احضروا تقدمة، وادخلوا هيكله واعبدوه"⁽⁵⁸⁾. ويؤكد اشعيا ان المصريين في المستقبل سيعبدون الرب، ويقام هناك مذبح للرب في وسط مصر، كما يرتفع نُصب للرب عند تخومها، فيكون علامة، وشهادة للرب القدير في مصر، فالمصريون يستغيثون بالرب من مضايقات اعدائهم، فيبعث الهمم: "مخلصا، ومدافعا، ينقذهم"، مما يدفع المصريين فن: "يعبدونه، ويقدمون ذبيحة، وقرابين، وينذرون للرب نذورا ويوفون بها"⁽⁵⁹⁾. ويختم اشعيا كلامه قيام الشعوب اجمعين بتقديم قربانهم للرب الواحد: "انا مزعم ان اتي لأجمع كل الامم والالسنه فيتوافدون ويرون مجدي، واجعل بينهم اية، وابعث بعض الناجين منهم الى الامم، الى: ترشيش، وفول، ولود، المهرة في رمي السهام؛ والى توبال، وياوان، والى الجزائر البعيدة، ممن لم يسمعوا بشهرتي، أو يروا مجدي، فيذيعون مجدي بين الامم، ويحضرون جميع اخوتكم من سائر الامم، تقدمة للرب، على متون الجياد، وفي المركبات، والهوادج، وعلى ظهور البغال، واسمة الجمال، الى اورشليم، جبل قدسي، كما يُحضر الاسرائيليون تقدمة الحنطة في انية طاهرة الى بيت الرب..."⁽⁶⁰⁾. وفي صلاة طوبيت

⁵⁶ اشعيا، 19: 23.

⁵⁷ طوبيا، 14: 6.

⁵⁸ مزامير، 96: 8.

⁵⁹ اشعيا، 19: 19-21.

⁶⁰ اشعيا، 66: 18-21.

نقرأ عن كافة الامم التي تقدم القرابين للرب في اورشليم: "يزورك الامم من الاقاصي،
ويسجدون بقرابينهم للرب، ملك السماء"⁽⁶¹⁾.

⁶¹ طوبيا، 13: 13.

لماذا يقدم القربان

تقدم نصوص العهد القديم تفاصيل جيدة حول الدافع الذي يدفع الانسان الى تقديم قربانه للرب اليهودي وهي:

-فائدة القربان في حياة الانسان ومستقبله: اعتقد الاسرائيليون بفائدة القربان على حياة الانسان، وارميا يؤكد ذلك عندما يقول على لسان الرب اليهودي: "لن ينقرض من امامي رجل من الكهنة اللاويين، يُصعد مُحرقه، ويقدم تقدمته حنطة، ويقرب ذبيحة مدى الدهر"⁽⁶²⁾. ويشوع بن سيراخ يوضح بجلاء فوائد القربان للإنسان: "ان الرب يحسن المكافأة، فيكافئك سبعة اضعاف"⁽⁶³⁾.

-الحصول على مساعدة الله: يذكر العهد القديم ان يعقوب نذر نذرا في الوقت الذي كان يتجه فيه الى خاله لابان قال فيه: "ان كان الله معي وحفظني في هذه الطريق التي اسلكها، ورزقني خبزا اكله، وثيابا البسها، ورجعت سالما الى بيت ابي، يكون الرب لي الها"، ولكن ليس هذا كل ما اكده يعقوب في نذره، اذ نذر ان الحجر الذي نصبه هو في حران، وكرسه للرب يكون بيتا للرب: "وكل ما يهبه لي (اي الرب) اعطي عُشره"⁽⁶⁴⁾. وفي الوقت الذي كان فيه الاسرائيليون مجتمعين في المصفاة احتشد الفلسطينيين لمحاربتهم، وعندما بلغ الخبر بني اسرائيل اعتراضهم الخوف، فاتهموا الى النبي صموئيل لكي يتضرع لهم عند الرب: "لا تكف عن التضرع الى الرب الهنا من اجلنا حتى يُخلصنا من قبضة الفلسطينيين"، فأخذ صموئيل حملا رضيعا، وقدمه بكامله مُحرقه للرب، وتضرع اليه من اجل انقاذ اسرائيل، فاستجاب له الرب، وبينما كان صموئيل يقدم مُحرقه، اقبل الفلسطينيين لمحاربة اسرائيل،

⁶² ارميا، 33: 18.

⁶³ يشوع بن سيراخ، 35: 13.

⁶⁴ تكوين، 28: 20-21.

فأطلق الرب صرخة راعدة عظيمة على الفلسطينيين القت فيهم الرعب، فانهزموا امام الإسرائيليين⁽⁶⁵⁾. ويبدو ان هذه الحادثة هي التي ذكرها يشوع بن سيراخ عندما قال عن صموئيل: "دعا الرب القدير عندما حاصره الاعداء، وقدم له حملاً رضيعاً. فأرعد الرب من السماء وسمع صوته بدوي عظيم"⁽⁶⁶⁾. وعندما ذهب داود وشيوخ بني اسرائيل وقادة الالوف الى بيت عوبيد ادوم ليُصعدوا تابوت العهد ذبحوا سبعة عجول، وسبعة كباش ليعين الله اللاويين حاملي التابوت⁽⁶⁷⁾. وهناك صلاة تنسب الى داود تؤكد ان الله يتقبل القربان وبالتالي سيساعد الانسان على تحقيق ما يريد، لذا يقول فيها المتعبد: "ليتذكر(الله) جميع تقدماتك، ويتقبل مُحرقاتك، ليعطيك بغية قلبك، ويتم لك كل مقاصدك"⁽⁶⁸⁾. وهناك صلاة اخرى منسوبة له تؤكد انه يقدم الذبائح للرب بسبب معونته له في كل المحن: "طوعاً اذبح لك، واحمد اسمك يا رب لأنه طيب، فإنه نجاني من كل ضيق، ورأيت بعيني(ما حل) بأعدائي"⁽⁶⁹⁾. وكان احاز ملك يهوذا(715-735 قبل الميلاد) قد قدم ذبائح لأوثان الاراميين الذين هزموه قائلاً: "ان الهة ملوك ارام تساعدهم، فلأذبح لهم فيساعدوني"⁽⁷⁰⁾. وعندما قام نبوخذنصر الثاني(605-562 قبل الميلاد) بمهاجمة يهوذا اتجه الاخيران الى الرب يتضرعون له لمساعدتهم، ووقف الكاهن الاعلى يواكيم وجميع الكهنة الذين في هيكل الرب وهم يلبسون المسوح، وقدموا مُحرقات يومية الى الرب، وذبائح الشعب، والرماد على رؤوسهم، وكانوا يصرخون الى الرب بأعلى صوتهم ملتمسين منه الرحمة لبيت اسرائيل⁽⁷¹⁾. وعندما قام ياسون وجماعته، وهو من اليهود الموالين للسلوقيين،

⁽⁶⁵⁾ صموئيل الاول، 7: 10-7.

⁽⁶⁶⁾ يشوع بن سيراخ، 46: 16.

⁽⁶⁷⁾ اخبار الايام الاول، 15: 26-25.

⁽⁶⁸⁾ مزامير، 20: 3.

⁽⁶⁹⁾ مزامير، 54: 6.

⁽⁷⁰⁾ اخبار الايام الثاني، 28: 23-22.

⁽⁷¹⁾ يهوديت، 4: 15-14.

بإحراق ابواب الهيكل، وقتل عدد من اليهود المناوئين لهم عام 143 قبل الميلاد، اتجه اليهود المعارضون الى الرب يصلون له، ويقدمون القرابين: "صلينا الى الرب فاستجاب لنا، وقدمنا له ذبيحة، وقربان حنطة، واشعلنا السرج في الهيكل، وقدمنا الخبز المقدس للرب"⁽⁷²⁾.

-تقديم الشكر للإله: في النصوص اليهودية كانت القرابين تقدم من اجل شكر الاله على نعمه وهو امر واجب على البشر: "ليرفعوا الشكر للرب على رحمته، وعلى عجائبه لبني ادم، وليقربوا له ذبائح الشكر..."⁽⁷³⁾. والبشري يؤكدون عادة انهم يقدمون ذبائحهم للرب من اجل شكره: "لك اقدم ذبائح الشكر، وادعو باسمك"⁽⁷⁴⁾: ويقول يشوع بن سيراخ ان لأبداء الشكر لله على الانسان ان يُقرب تقدمة الدقيق⁽⁷⁵⁾. وكان اول قربان شكر قدم للإله هو قربان ابني ادم وهو الانسان الاول، اذ ولدت حواء قايين الذي كان يزرع الارض، وهابيل راعي القطيع، وعندما كبرا قدم الاخوان اضحية الشكر، اذ قدم قايين منتجات ارضه، اما هابيل فقدم المواليد الاولى من قطيعه، ولكن يهوه قبل تقدمة الاخير، ولم يقبل تقدمة قايين، وبثورة من غضب انقض قايين على اخيه وقتله⁽⁷⁶⁾. وتتحدث اسطورة ان روح ادم اخبرت احد احفاده ويدعى يارد ان يقدم قربانا شكرا لله لأنه قد خلصه من يدي الشيطان⁽⁷⁷⁾. وفي اسطورة الطوفان نقراً انه بعد ان انسحبت المياه، وتوقفت السفينة على قمة جبل اارات، خرج نوح وقدم أضحية للرب: "بني نوح مذبحا للرب، واخذ من جميع

⁽⁷²⁾ المكابيين الثاني، 1: 7-8.

⁽⁷³⁾ مزامير، 107: 21-22.

⁽⁷⁴⁾ مزامير، 116: 17.

⁽⁷⁵⁾ يشوع بن سيراخ، 35: 3.

⁽⁷⁶⁾ تكوين، 4: 8-3. الحقيقة لا نعرف تحديدا ان كان قربان قايين وهابيل هو قربان شكر لان النص لا يتحدث عن السبب الذي قُدم من اجله القربان، وان ما ذُكر اعلاه هو رأي الاستاذ ميرتشيا الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، (دمشق: داردمشق للنشر، 1987)، ج.1، ص.208.

⁽⁷⁷⁾ السفر الثاني لادم وحواء، 18: 10.

الهائم، والطيور الطاهرة، بحسب الشريعة، فأصعد محرقات على المذبح. وتنسم الرب رائحة الرضا⁽⁷⁸⁾. وحسب التشريع اليهودي كانت ذبيحة السلام تهدف للتعبير عن الشكر للرب⁽⁷⁹⁾. وكان الاسرائيليون عادة ما يجتمعوا في مكان ما ليقدموا ذبائح السلام للرب، وذات مرة اجتمعوا في بيت ايل وبنوا هناك مذبحا قدموا عليه مُحرقات، وذبائح سلام⁽⁸⁰⁾. وعندما قدم داود قرابينه على المذبح الذي شيده عند بيدر ارون/ارنان اليبوسي من اجل ايقاف الوباء، واستجاب الرب له، قام بتقديم ذبائح اخرى لشكره على قبول تضرعه: "عندما رأى داود ان الرب قد تقبل تضرعه في بيدر ارنان اليبوسي قدم ذبائح هناك"⁽⁸¹⁾. وفي صلاة منسوبة اليه يقول داود: "اقرب لك (أي الله) ذبائح شكر، لأنك انقذت نفسي من الموت، وحفظت رجلي من الزلقة"⁽⁸²⁾. وبعد الاصلاح الديني الذي نفذه ملك يهوذا حزقيا (687-715 قبل الميلاد)، قرر تقديم ذبائح شكر للرب: "هاتوا ذبائح وقرابين الشكر لهيكل الرب"، وبالفعل نفذ رؤساء الشعب اوامر الملك وقدموا ذبائح وقرابين شكر⁽⁸³⁾. وبعد مساعدة الرب لحزقيا في اباداة الجيش الاشوري بقيادة سنحاريب (681-704 قبل الميلاد)-وهو خير بلا شك لا يمكن تصديقه وفق بيانات الوثائق الاشورية: "شرع كثيرون يأتون بتقدمات للرب الى اورشليم"⁽⁸⁴⁾. ويقال ان منسي بن حزقيا (642-687 قبل الميلاد) رمم مذبح الرب، وقرب عليه ذبائح سلام وشكر⁽⁸⁵⁾. وارميا يقول ان المسيبين بعد عودتهم الى

⁷⁸ تكوين، 8: 20-21.

⁷⁹ بارتون واخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 219.

⁸⁰ قضاة، 21: 2-4.

⁸¹ اخبار الايام الاول، 21: 28.

⁸² مزامير، 56: 12.

⁸³ اخبار الايام الثاني، 29: 31.

⁸⁴ اخبار الايام الثاني، 32: 20-23.

⁸⁵ اخبار الايام الثاني، 33: 16.

اورشليم سيقدمون قرايين شكر لله⁽⁸⁶⁾. ونقرأ عن إحدى السيدات وهي تنوي ان تخون زوجها، تخبر عشيقها: "كان علي ان اقدم ذبائح سلام، فأوفيت اليوم ندوري"!!!⁽⁸⁷⁾. وهذا يشير الى كونها تريد شكر الرب الذي جلب لها عشيقها. وان هليودورس مسؤول الخزينة التابع للملك السلوقي سلوقس الرابع (218-175 قبل الميلاد) بعد ان شفاه الرب من مرضه قدم ذبيحة للرب، ونذرله نذورا كثيرة لأنه انقذ حياته⁽⁸⁸⁾. وان رجلا يدعى يواقيم لم يكن له اولاد وعندما بشره ملاك الرب بان زوجته ستنجب له طفلاً امر الرعاة بان يحضروا له: "عشرة نعجات بدون عيب، أو بقع ليكونوا للرب..."⁽⁸⁹⁾؛ وفي رواية اخرى انه قدم شيها بدون بقع تقدمة⁽⁹⁰⁾.

-اتقاء غضب الاله: تخبرنا قصة ايوب ان القربان يخفف من غضب الله، فهو يخاطب اصدقاء ايوب ويخبرهم ان غضبه احتدم عليهم ومن اجل انهاء هذا الغضب لابد من تقديم قربان: "قال(الله) لاليفاز التيماني: لقد احتدم غضبي عليك، وعلى صديقك، لأنكم لم تنطقوا بالصواب عني كما نطق عبدي ايوب، فخذوا الان لكم سبعة ثيران، وسبعة كباش، وامضوا الى عبدي ايوب، وقربوها ذبيحة، مُحرقَة عن انفسكم، فيصلي من اجلكم، فأعفوا عنكم اكراما له، لئلا اعاقبكم بمقتضى حماقتكم، لأنكم لم تنطقوا بالحق عني كعبدي ايوب"، فذهب اليفاز التيماني، وبلد الشوحي، وصوفر النعماتي وفعلوا كما امر الرب⁽⁹¹⁾.

-التخلص من الخطيئة: للتكفير عن الخطيئة في الديانة اليهودية لابد من تقديم قربان، وهناك ثلاثة انواع من القرايين تقدم في حالة الخطيئة وهي:

⁸⁶ ارميا، 33: 11.

⁸⁷ امثال، 7: 14.

⁸⁸ المكابيين الثاني، 3: 35.

⁸⁹ انجيل البداية ليعقوب، 4: 4.

⁹⁰ انجيل متى المزيف، 3: 6.

⁹¹ ايوب، 42: 7-9.

- ذبيحة المحرقة: وتقدم من اجل التكفير عن الخطايا بوجه عام.
- ذبيحة الخطيئة: وتقدم للتكفير عن الخطايا غير المتعمدة تلك الناجمة عن الاهمال.
- ذبيحة الاثم: وتقدم للتكفير عن الخطايا الموجهة ضد الله سهواً، وضد الاخرين، فكانت الذبيحة تقدم لله، ويُدفع التعويض للشخص الذي اسيء اليه⁽⁹²⁾.

هناك عدد من الامثلة التي يمكن ان نقدمها حول الخطايا التي يجب التكفير عنها بتقديم القرابين:

- الخطيئة الناجمة عن صمت الشخص اذا ما استُحلف، ولم يدل بشهادته حول جريمة رآها، أو علم بها، فإنه يكون شريكاً في الذنب.
- الخطيئة الناجمة عن لمس شئ نجس، سواء كان جثة حيوان محرم اكله، أم جثة وحش أو حشرة محرمة، وبذلك يكون مذنباً ونجساً، حتى لو لم يعلم انه لمسها.
- الخطيئة الناجمة عن لمس احدى نجاسات الانسان التي يتنجس بها، عن غير علم به، ثم نُبّه الى الامر، يُصبح عندئذ مذنباً.
- الخطيئة الناجمة عن الحلف حول القضايا الجيدة أو السيئة، من غير علم منه، يصبح مذنباً في كلتا الحالتين⁽⁹³⁾.
- الخطيئة الناجمة عن اعتداء احد ما سهواً على احدى المقدسات للرب، ففي هذه الحالة عليه ان يُحضر الى الرب ذبيحة اثم: كبشا سليماً، يقدر الكاهن قيمته من الفضة وفقاً للمعايير الرسمية المستعملة، فيعوض عما اخطأ به،

⁹² بارتون واخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص219.

⁹³ لاويين، 5: 4-1. اما كيفية تقديم القران الذي يقدم للتكفير عن هذه الخطايا فسيتم مناقشتها لاحقاً.

بعد ان يضيف عليه ما يعادل خُمسه غرامة، ويؤديه للكاهن، فيُكفّر الكاهن عنه بكبش الاثم، ويغفر الرب له.

- الخطيئة الناجمة عن ارتكاب احد ما احدى نواهي الرب التي ينبغي الا يرتكبها، يكون بذلك مذنباً، ومسؤولاً عن اثمه، اذ انه في هذه الحالة يكون قد ارتكب اثماً في حق الرب، لذا عليه ان يحضر الى الكاهن ذبيحة اثم، وهو كبش سليم يقدر الكاهن ثمنه (الكلام في النص موجه لموسى)، فيُكفّر الكاهن عما ارتكبه المخطئ من سهو على غير علم منه، فيغفر الرب له.
- الخطيئة الناجمة عن السرقة، ففي حالة قيام شخص ما برفض رد وديعة، أو امانة، أو حاجة مسروقة، أو اغتصب من شخص ما شيئاً، أو عثر على شيء مفقود وانكره، أو حلف كاذباً على خطيئة ارتكبها، فيعد هذا الشخص مخطئاً في حق الرب، ففي هذه الحالة على الشخص المذنب ان يرد ما سلبه، أو اغتصبه، أو استودع عنده، أو الشيء المفقود الذي عثر عليه، أو كل ما حلف عليه كاذباً، كما ان عليه ان يعوض قيمة الشيء مضافاً اليه خمسه، وفي اليوم نفسه يُحضر الى خيمة الاجتماع ذبيحة اثم عبارة عن كبش سليم يقدر الكاهن ثمنه (الحديث في النص موجه لموسى)، ويأتي به الى الكاهن، فيُكفّر عنه امام الرب، فيغفر له الرب ذنبه الذي ارتكبه⁽⁹⁴⁾.
- الخطيئة الناجمة عن عدم تنفيذ وصايا الرب التي ابلاغها لموسى سهواً، ففي هذه الحالة على بني اسرائيل ان يقدموا قرباناً، اذ على كل جماعة ان تقرب ثوراً مُحرقاً مع مقدمة من الدقيق، وسكيب من الخمر، وتيساً واحداً ذبيحة خطيئة، فيكفر الكاهن عن جميع الشعب، فيصفيح عنهم الرب. وان اخطأ

⁹⁴ (لاويين، 5: 19-14؛ 6: 1-6؛ انظر ايضاً: سهيل قاشا، اثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، 1998)، ص 63.

شخص واحد سهوا في عدم تنفيذ وصايا الرب فعليه ان يقرب انثى ماعز حولي ذبيحة خطيئة، فيكفر الكاهن عن ذلك الشخص⁽⁹⁵⁾.

● الخطيئة الناجمة عن وجود قتيل قاتله مجهول، فإذا وجد بنو اسرائيل قتيلا ملقى في حقل، ولم يعرف قاتله، يقوم الشيوخ والقضاة بقياس المسافات الواقعة بين موضع جثة القتيل والمدن المجاورة، فيحضر شيوخ اقرب مدينة الى الجثة، عجلة لم يوضع عليها محراث، ولم تجر بنير، ويأخذونها الى واد فيه ماء دائم الجريان، لم يحرث فيه، ولم يزرع، فيكسرون عنق العجلة في الوادي. ثم يغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبة من الجثة ايديهم فوق العجلة المكسورة العنق في الوادي، ويقولون: "ايدينا لم تسفك هذا الدم، واعيننا لم تشهده، اغفريا رب لشعبك اسرائيل الذي افتديته، ولا تطالبنا بدم بريء سفك في وسط شعبك اسرائيل"، فيصفح الرب عن سفك هذا الدم، وهكذا يتم تبرئة الشعب من دم هذا القتيل⁽⁹⁶⁾.

● الخطيئة الناجمة عن التزوج من امرأة غريبة: وهذه الحالة لا نجدھا الا مع الاسرائيليين العائدين من السبي في العصر الاخميني، اذ حسب تعليمات عزرا الكاهن لا يجوز الزواج من امرأة غريبة ليست اسرائيلية، ومن اجل التكفير عن هذه الخطيئة كان لابد من تقديم قربان، ونقرأ عن هذه الحالة بشكل جيد، فقد وجد بين الكهنة ممن تزوجوا من نساء غريات، وهؤلاء من اجل التكفير عن هذا الخطيئة كان عليهم اولا ازالة حالة الاثم، لذا

⁹⁵ عدد، 15: 22-29.

⁹⁶ تثنية، 21: 1-9.

تعهدوا بإخراج نسائهم الغريبات، ثم عليهم تقديم اضحية مناسبة، لذا قربوا
كبش غنم تكفيرا عن اثمهم⁽⁹⁷⁾.

من ذلك نخلص الى حقيقة مفادها ان كل خطيئة ترتكب من قبل الشخص
سهوا، وعن غير عمد على مرتكبها ان يقدم اضحية للرب، وهناك مثال جيد يمكن
ان نقدمه للبرهنة على هذا المعتقد وهو خطيئة ولدي هارون، اذ وضع كل من ناداب
وابيهو ابني هارون في مجمرتهما نارا غير مقدسة، وبخورا على خلاف ما امرهما الرب،
وقربا امام الرب عندها: "اندلعت نار من عند الرب فالتهمتهما فماتا في حضرة
الرب"⁽⁹⁸⁾. فماذا يفعل هارون للتكفير عن خطيئة ولديه؟. ان الرب يخاطب موسى
بعد تلك الخطيئة الشنيعة التي ارتكبها ولدا هارون ويحذره من دخول هارون الى
خيمة الاجتماع والا سيحل به الغضب الالهي: "كلم اخاك هارون وحذره من الدخول
في كل وقت الى قدس الاقداس، وراء الحجاب امام غطاء التابوت لئلا يموت، لأنني
اتجلى في السحاب على الغطاء". وهكذا لم يكن بإمكان هارون الدخول امام التابوت،
الا عن طريق تقديم قربان للتكفير عن الخطيئة المرتكبة. لذا يخاطب الرب موسى
ويخبره بما يلي: يأتي(هارون) بثور من اجل ذبيحة الخطيئة، وكبش من اجل ذبيحة
مُحرقة، وعليه ان يلبس ثيابا مقدسة مؤلفة من: قميص كتان مقدس، ويرتدي فوق
جسده سراويل كتان، ويتنطق بحزام كتان، ويتعمم بعمامة كتان، بعد ان يغتسل
بماء. ويأخذ شعب اسرائيل تيسين من الماعز لذبيحة الخطيئة، وكبشا واحدا ليكون
ذبيحة مُحرقة. اما الثور فيقربه هارون من اجل الخطيئة، تكفيرا عن نفسه وعن
اسرته. ثم يأخذ التيسين ويقدمهما امام الرب عند مدخل خيمة الاجتماع، ويلقي
عليهما قرعتين: قرعة للرب، وقرعة لعزازيل(كبش الفداء). ويقرب هارون التيس الذي
وقعت عليه قرعة الرب، ويصعده ذبيحة خطيئة. اما التيس الذي وقعت عليه قرعة

⁹⁷ عزرا، 10: 18-19.

⁹⁸ لاويين، 10: 1-2.

عزازيل، فيوقفه حيا امام الرب ليكفر عنه، ثم يطلقه الى الصحراء فهو كبش الفداء. وبعد ان يقدم هارون ثور الخطيئة تكفيرا عن نفسه واسرته ويذبحه، يملأ المجرمة بجمرة نار من على المذبح من امام الرب، ويأخذ ملء قبضته من البخور العطر الدقيق، ويدخل بهما الى ما وراء الحجاب، ويضع البخور على النار في حضرة الرب، فتملأ سحابة البخور غطاء التابوت، وهذا الاجراء لمنع الموت عنه. ثم يأخذ بعض دم الثور، ويرش بأصبعه على وجه الجزء الشرقي من غطاء التابوت، كما يرش من الدم بأصبعه سبع مرات امام الغطاء. اما تيس الخطيئة المقدم من الشعب فيذبحه، ويدخل بدمه الى ما وراء الحجاب، ويرش من دمه كما رش من الثور على الغطاء وامامه، فيكفر عن القدس من نجاسات بني اسرائيل وسيئاتهم وخطاياهم. ومثل ذلك يفعل لخيمة الاجتماع القائمة وسطهم، والمحاطة بنجاساتهم، ولا يجوز ان يدخل اي احد الى خيمة الاجتماع عند دخول هارون الى قدس الاقداس للتكفير عن نفسه، وعن اسرته، وعن كل جماعة اسرائيل الى وقت خروجه. ثم يأتي الى المذبح القائم في حضرة الرب ويكفر عنه، فيأخذ من دم الثور، ومن دم التيس، ويضع منهما على قرون جوانب المذبح، ويرش من الدم بأصبعه سبع مرات ويطهره ويقده من نجاسات بني اسرائيل. وبعد الانتهاء من الطقس يخلع هارون في خيمة الاجتماع الملابس الكتانية التي ارتداها عند دخوله قدس الاقداس ويضعها هناك، ويستحم بماء في مكان مقدس، ثم يرتدي ثيابه ويخرج ويصعد محرقة ومحرقة الشعب، ويكفر بذلك عن نفسه وعن الشعب، ويحرق شحم ذبيحة الخطيئة على المذبح، ويغسل عقب ذلك ثيابه ويستحم بماء، وبعد ذلك يدخل الى المخيم. ثم يخرج هارون ثور الخطيئة، وتيس الخطيئة اللذين كفر بدمهما في قدس الاقداس الى خارج المخيم، ويحرقهما في النار: جلدهما، ولحمهما، وروثهما، وعلى من يحرقهما ان يغسل

ثيابه ويستحم بماء، وبعد ذلك يدخل الى المخيم⁽⁹⁹⁾. ويمكن ان نوضح هذا الطقس المهم بما يأتي:

1. ان الخطايا المرتكبة بحق الرب من قبل الكهنة عقابها شامل للشعب كله، وهذا يشير الى مسؤولية الشعب عن خطايا كهنتهم⁽¹⁰⁰⁾.

2. من اجل التكفير عن الخطايا على كل من الكهنة والشعب ان يقدموا قربانا للرب.

3. يتضمن القربان المقدم نوعين من الاضاحي هما:

- ذبيحة خطيئة (ثور يقدمه الكاهن، وتيسان من الماعز يقدمهما الشعب).

- ذبيحة مُحرقَة (كبشان يقدمهما الكاهن والشعب).

4. بالنسبة للثور المقدم للكاهن فإنه يُذبح من اجل التكفير عن خطايا الكاهن واسرته.

5. بالنسبة للتيسين فيُذبح احدهما للتكفير عن خطيئة الشعب، اما الثاني فيبقى حيا ويطلق الى الصحراء ويحمل معه خطايا الشعب لأنه كبش فداء⁽¹⁰¹⁾.

ولكن ماذا لو تعمد الشخص ان يرتكب خطيئة، فهل عليه ان يقدم قربانا للتكفير عن الخطأ؟ في هذه الحالة القربان لا يستطيع ان يتخلص من الخطيئة ابداً، بل ان الموت هو نصيب الخاطئ: "ان تعمد احد الخطأ، سواء كان من الاسرائيليين، أم من الغرباء، فهو يزدري بي، ويجب ان يُستأصل من بين شعبه، لأنه احتقر كلامي،

⁹⁹ لاويين، 16: 1-19، 23-28.

¹⁰⁰ ان مسؤولية المجتمع عن الخطايا التي يرتكبها الكهنة عند الشعب الاسرائيلي القديم لها ما يماثلها عند الاغريق، اذ ان الادلة المتوفرة تشير ان الاغريق القدماء اعتقدوا بمسؤولية الشعب عن خطايا ملوكهم، فما ان يرتكب ملك ما اثم تجاه الالهية حتى تنتشر الاوبئة بين افراد الشعب. للمزيد من التفاصيل انظر: اسامة عدنان يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة: دراسة تاريخية مقارنة، (بغداد: اشوربانيبال للكتاب، 2016)، ص 61-65.

¹⁰¹ كبش الفداء معتقد موجود عند الكثير من الشعوب القديمة، وهناك طقس مشابه لذلك الذي مورس اعلاه عند قبائل النيل الابيض. انظر: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص 402.

ونقض وصيتي، لهذا يُستأصل متحملاً عقاب ذنبه"⁽¹⁰²⁾. وان خطيئة ناداب وابيهو خير دليل على هذا الاعتقاد. ويمكن ان نقدم مثالا اخرًا يوضح كيف ان الخطيئة المتعمدة لا يمكن التكفير عنها بالقربان، ففي اثناء اقامة بني اسرائيل في الصحراء، وجدوا رجلاً يجمع الحطب في يوم السبت، فاقتادوه الى موسى وهارون وبقيّة الجماعة، وزجوه في السجن لأنه لم يكن واضحاً بعد ما يتوجب عليهم فعله به، فقال الرب لموسى: "لترجمه الجماعة كلها بالحجارة خارج المخيم، لان عقابه القتل حتماً"، فأخذ الشعب الى خارج المخيم ورجموه بالحجارة حتى مات⁽¹⁰³⁾. وتذكر احدى الاسفار المنحولة اشارات عن تقديم القرابين لغفران الخطيئة، فادم يطلب من ولديه قايين وهابيل ان يقدموا قرباناً لله من اجل ان يغفر لهما شرهما وخطيئتهما⁽¹⁰⁴⁾. كما ان شخصاً يدعى يواقيم يقدم تقدمة للرب لهذا الغرض ويقول: "التقدمة التي احضرها لغفران خطاياي للرب، كفارة عني"⁽¹⁰⁵⁾.

-القربان يحافظ على الصحة ويواجه الأمراض والوبئة: قدم الاسرائيليون القدماء كغيرهم من الشعوب القديمة تقدمات من اجل اتقاء خطر الوبئة، ونحن نقرأ عن هذه الحالة بجلاء، ففي رواية تذكر ان الرب أمر موسى بأنه في حالة قيامه بإحصاء بني اسرائيل، فعلى كل من يحصيه ان يقدم فدية عن نفسه للرب لئلا يصيبه وباء عند احصائهم، اذ يعطي كل مُحصى تجاوز عمره العشرين عاماً فما فوق نصف شاقل من الفضة (حوالي 6 غم) تقدمة للرب، وهذه الكمية من الفضة عليه ان يقدمها كل شخص سواء كان غنياً ام فقيراً لأنها تقدمة الرب للتكفير عن انفسهم⁽¹⁰⁶⁾. ونقرأ كيف ان بني اسرائيل تمردوا على موسى وهارون متهمين اياهم

⁽¹⁰²⁾ عدد، 15: 30-31.

⁽¹⁰³⁾ عدد، 15: 32-36.

⁽¹⁰⁴⁾ السفر الاول لادم وحواء، 77: 1-2.

⁽¹⁰⁵⁾ انجيل البداية ليعقوب، 1: 1.

⁽¹⁰⁶⁾ خروج، 30: 11-15.

بانهم: "قتلوا شعب الرب"، فقال الرب لموسى: "اخرجنا من بين هذه الجماعة لأنني سأفنيهم في لحظة"، ومن اجل الا يتم افناء الشعب كله امر موسى اخاه هارون بأن يأخذ مغمرة، ويضع فيها نارا من على المذبح، وبخورا، وان يسرع ليكفر عن الشعب، لان الغضب المحتدم قد صدر عن الرب، وتفشى فيهم الوباء. فنفذ هارون امر موسى، واسرع وسط الجماعة، واذا بالوباء قد ابتداء يتفشى فيهم، فوضع البخور، وكفر عن الشعب، ووقف هارون بين الموتى والاحياء فتوقف الوباء⁽¹⁰⁷⁾. ونقرأ في رواية ترد من العهد القديم (مشكوك في صحتها) الى ان الفلسطينيين كانوا يقدمون قربانهم للتكفير عن الخطايا، فبعد معركة حجر المعونة (مدينة تقع شمال اورشليم) مع الاسرائيليين استولى الفلسطينيون على تابوت العهد وبقي عندهم سبعة اشهر، اذ وضعوه في بداية الامر في مدينة اشدود (تقع شمال عسقلان)، ولكن سرعان ما اصاب سكان المدينة الخراب والامراض: "ثم ثقلت وطأة الرب على الاشدوديين، والقري المحيطة بهم، فأصابهم الخراب، وبلاهم بالبواسير"، عند ذلك قرر اهل اشدود التخلص من تابوت العهد: "لا ينبغي ان يمكث تابوت اله اسرائيل عندنا، لان وطأة يده قد قست علينا..."، وارسلوه الى مدينة جت (مدينة تقع الى الشرق من اشدود)، ولكن ذلك لم يخفف من غضب الرب: "عاقبت يد الرب المدينة، فأصاب اهلها اضطراب عظيم جدا، وتفشى في صغيرهم وكبيرهم داء البواسير"، لذا قرروا ان يرسلوا التابوت الى عقرون (مدينة تقع شمال جت وشمال شرق اشدود)، وما ان دخل تابوت العهد الى المدينة حتى صرخ اهلها قائلين: "قد نقلوا الينا تابوت اله اسرائيل لكي يقضوا علينا وعلى شعبنا"، لذا اجتمع زعماء الفلسطينيين وقرروا اعادة التابوت الى الاسرائيليين: "لان الموت ملاً المدينة بالرعب، اذ صارت وطأة يد الرب عليهم ثقيلة جدا، ومن لم يمتم من الناس تفشت فيهم البواسير...". وقد سأل زعماء الفلسطينيين الكهنة والعرافين عن الكيفية التي يجب اعادة التابوت فيها الى

⁽¹⁰⁷⁾ عدد. 16: 48-41: الحكمة. 18: 21. انظر ايضا: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص 192.

الاسرائيليين: "ماذا نفعل بالتابوت؟ اخبرونا كيف نعيده الى موطنه"، عند ذلك اجابهم الكهنة انه من اجل انهاء المرض عليهم ان يعيدوا التابوت مع قربان مناسب: "اذا اعدتم تابوت اله اسرائيل فلا تعيدوه فارغا بل ارسلوا معه قربان اثم، حينئذ تبرؤون، وتدركون علة ما اصابكم من عقاب". وعندما سألوهم ماهية قربان الاثم الذي يجب ارساله، اخبرهم الكهنة بانهم يجب ان يرسل القربان بحسب عدد زعماء الفلسطينيين، ويتضمن ما يأتي: خمسة نماذج ذهبية لللبواسير، وخمسة نماذج ذهبية من الفئران: "لان الكارثة التي ابتليت بها واحدة عليكم وعلى اقطابكم"، وعليهم ان يقدموا تلك النماذج مع تمجيد الرب: "اسكبوا نماذج بواسيركم، ونماذج فئرانكم التي خربت الارض، ومجدوا اله اسرائيل، لعله يخفف من وطأة يده عنكم، وعن الهتك، وعن ارضكم". لذا صنعوا عربة واحدة، وربطوها الى بقرتين مرضعتين لم يعلمها نير، ثم وضعوا تابوت الرب على العربة مع صندوق فيه امثلة الذهب التي تقدم كقربان اثم. وكان عليهم ان يطلقوا العربة بما عليها فتذهب لوحدها وهم يراقبونها، فإن اتجهت في طريق ارض اسرائيل الى بيت شمش (مدينة تقع شرق جت) يعلمون حينئذ ان اله اسرائيل هو الذي انزل بهم هذا الشر العظيم، وان مضت في غير هذا الاتجاه، يدركون ان ما اصابهم هو صدفة، ولم يكن عقابا الهيا. وعندما تم اطلاق العربة اتجهت في طريق بيت شمش في خط مستقيم، اذ لم تحد البقرتان يمينا أو يسارا، وسار اقطاب الفلسطينيين خلفهما حتى حدود بيت شمش⁽¹⁰⁸⁾. بلا شك لا يمكن ان نصدق ان ما قام به الفلسطينيون هو حقيقة تاريخية، ولكن هذه الرواية تشير الى طقس ديني نُفذ من اجل التخلص من الوباء، ويمكن ان نقدم بعض الملاحظات حول النص:

¹⁰⁸ صموئيل الاول، 5: 12-6؛ 6: 12-1.

- ان الرواية تشير الى معتقد سائد في انحاء عدة من العالم القديم، وهو ان الخطيئة تسبب المرض⁽¹⁰⁹⁾.
- ان الندم والتوبة غير كافيتين تماما من اجل التخلص من الخطيئة وانهاء المرض.
- كان لا بد من اجل التخلص من المرض تقديم قربان مناسب.

وعندما قام داود(962-1009 قبل الميلاد) بإحصاء بني اسرائيل حل عليه غضب الرب، وسرعان ما تفشى الوباء بينهم من جراء هذا الغضب⁽¹¹⁰⁾، لذا سارع النبي جاد واخبر داود ان يبني مذبحا للرب عند بيدر رجل يدعى ارونا/ارنان اليبوسي: "اذهب الى بيدر ارونا اليبوسي، وشيد مذبحا للرب فيه"، فانطلق داود حسب كلام النبي جاد، وكان ارونا/ارنان وبنوه الاربعة يدرسون القمح عندما شاهدوا ملاك الرب، فأسرعوا يختبئون، ولكن حين جاء داود الى ارونا/ارنان خرج من مخبئه في البيدروسجد بوجهه الى الارض. فأخبر داود ارونا/ارنان ان يبعه البيدر من اجل ان يبني فيه مذبحا للرب: "فتكف الضربة عن الناس/الشعب"، ولكن ارونا/ارنان اليبوسي رفض طلب الملك واخبره بأنه يريد ان يمنحه اياه من غير فضة، كما عرض عليه ان يختار ما يشاء من المواشي لتقديمها قربانا: "ليأخذه سيدي الملك ويقرب عليه ما يروق له، انظرها هي البقر للمحرقات، والنوارج وانيار البقر لتكون حطبا"، كما قدم اليه الحنطة لتكون قربان مقدمة من اجل ان يرض الرب عنه: "انني اتبرع بها جميعها". الا ان داود لم يقبل عرض ارونا/ارنان اليبوسي واصر على شرائها حتى لا يقدم للرب مُحرقات مجانية، فاشترى داود البيدر، والبقر بخمسين شاقلا من الفضة(حوالي

¹⁰⁹ كانت الخطيئة في العالم القديم من ابرز مسببات المرض، ومن اجل الاطلاع على تفاصيل اكثر انظر: اسامة عدنان يحيى، "المرض ومسبباته في بلاد الرافدين القديمة: دراسة في ضوء النصوص السومرية والاكادية"، مجلة الاستاذ/جامعة بغداد، العدد:138، لسنة: 2010؛ انظر كذلك: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص23-74.

¹¹⁰ يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص47.

600غرام)، وفي رواية اخرى نقرأ ان داود اشترى البيدر وحده بـ 600 شاقل من الذهب (حوالي 7200غرام)، وشيد هناك مذبحاً للرب قرب عليه مُحرقات، وذبائح سلام، فاستجاب الرب لقربانه وكف الوباء عن اسرائيل: "وامر الرب الملاك فأعاد السيف الى غمده"⁽¹¹¹⁾. وعلى مستوى الفرد كان شفاء الانسان من المرض يتطلب تقديم الصلاة والقربان للرب: "اذا مرضت يا بُني فلا تتهاون، بل صل الى الرب فهو يشفيك، (و)عُد عن ذنوبك، واعمل بالحق، وطهر قلبك من كل خطيئة، (و) قرب للرب بخورا وتقدمة الدقيق، وكن سخيا على قدر ما امكنت"⁽¹¹²⁾. وعندما اصيب هليودورس مسؤول خزانة سلوقس الرابع (218-175 قبل الميلاد) بمرض عن طريق معجزة من الرب بعد ان حاول تدنيس الهيكل، اتجه بعض رجاله الى الكاهن الاعظم اونيا، والتمسوا منه ان يتضرع الى الرب لعله يمن على هليودورس بالحياة وهو في اخر رمق، لذا قدم اونيا ذبيحة من اجل خلاص الرجل، وبالفعل حصل هليودورس على الشفاء⁽¹¹³⁾. وفي عام 164 قبل الميلاد اصيب انطيوخوس الرابع بمرض خطير لذا لم يكن امامه الا ان يتجه كما يقول كاتب يهودي الى الله (وهو امر لا يمكن ان نصدقه)، اذ اخذ يتضرع الى الرب، ونذرانه ان شفاه من مرضه سيحرر المدينة المقدسة (اورشليم)، وانه سيساوي اليهود بالاثنيين، وسيزين الهيكل، ويرد الآنية المقدسة اضعافا مضاعفة، ويؤدي النفقات المفروضة للذبائح من مدخوله الخاص، بل انه هو نفسه سيعتنق اليهودية دينا ويطوف انحاء الارض وينادي بقدرة الله⁽¹¹⁴⁾.

-القربان يقدم عند ولادة الطفل: نعرف ان الاسرائيليين القدماء كانوا يقدمون حملا كفدية عن الولد البكر لان القاعدة الدينية عندهم تقول ان: "كل بكر ذكر

¹¹¹ صموئيل الثاني، 24: 18-25: اخبار الايام الاول، 21: 18-27: انظر ايضا: السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص 124-125.

¹¹² يشوع بن سيراخ، 38: 9-11.

¹¹³ انظر النص الكامل ومعجزة الرب في اصابة هليودورس وقربان اونيا في، المكابيين الثاني، 3: 22-34.

¹¹⁴ المكابيين الثاني، 9: 13-17.

هو"، للرب لذا: "كل ابن بكرلك تفديه بحمل"⁽¹¹⁵⁾. وتتحدث احدى الاسفار المنحولة عن حالة مماثلة أي تقديم القرابين الخاصة بولادة الطفل، وكما هو الحال دائما تنسب هذه العادة الى الانسان الاول ادم. وفي الحقيقة كانت القرابين تقدم ثلاث مرات، اذ تقدم قبل ولادة الطفل، وهذا يتضح من قول ادم لحواء عندما كانت حاملا بابنهما شيت: "تعالى دعينا نأخذ تقدمة ونقدمها للإله، ونسأله ليعطينا طفلا وسيما..."⁽¹¹⁶⁾. كما تقدم القرابين عند ولادة الطفل، اذ تذكر اسطورة انه عند ولادة قايين واخته لولوا قرر ادم ان يقدم عنهما قربانا بعد ان بلغ عمرهما اربعين يوما من العمر، لذا فان ادم يخبر زوجته حواء بان عليهم ان يقدموا تقدمة نيابة عن الصبية، فأجابته حواء: "بأننا سوف نعمل تقدمة للولد الاول ثم بعد ذلك نعمل تقدمة للابنة". حينئذ اعد ادم وحواء تقدمة وقدمها هو وزوجته، ويبدو ان القريان قدم نيابة عن قايين فقط، وذلك لان تقدمة الفتى قبل تقدمة الفتاة، لذا انتظر ادم وحواء حتى اتمت الابنة ثمانين يوما من العمر واعد ادم تقدمة اخرى نيابة عنها⁽¹¹⁷⁾. وبعد ولادة ابنه هابيل واكليا، قدم ادم تقدمة لابنه عند نهاية الاربعين يوما من عمره، ثم قدم تقدمة لابنته عند اكمالها ثمانين يوما من عمرها⁽¹¹⁸⁾. وعندما ولدت حواء ابنها شيت اخذ ادم وزوجته تقدمة/ذبيحة ومضيا الى الجبل وقدمها عن الرضيع⁽¹¹⁹⁾. وبعد فطام الاطفال تقدم القرابين ايضا، اذ قدم ادم تقدمة نيابة عن اطفاله قايين ولولوا عند فطامهما⁽¹²⁰⁾.

¹¹⁵ خروج، 34: 19-20.

¹¹⁶ السفر الثاني لادم وحواء، 1: 9.

¹¹⁷ السفر الاول لادم وحواء، 74: 8-10، 75: 1-5.

¹¹⁸ السفر الاول لادم وحواء، 75: 12.

¹¹⁹ السفر الثاني لادم وحواء، 2: 7؛ قصة حياة ادم وحواء (المخطوط اليوناني)، 4: 2.

¹²⁰ السفر الاول لادم وحواء، 75: 10.

-الحصول على الرخاء والخصب والنماء: تشير التقاليد اليهودية الى ارتباط الرخاء بالقربان، واليهود القاطنون في مصر يتحدثون بأسى كيف ان امتناعهم عن القربان سبب لهم الجوع، في وقت كانت تقديمهم للقربان سببا في رخائهم: "نعمل بمقتضى ما تعهدنا به، فنحرق بخورا لملكة السماء، ونقرب لها السكائب، كما سبق ان فعلنا، نحن واباؤنا، وملوكنا، ورؤساؤنا في مدن يهوذا، وفي شوارع اورشليم، فكانت لنا وفرة من الطعام، وتمتعنا بالخير، ولم يصبنا شر. ولكن منذ ان اهملنا احراق البخور لملكة السماء، وتقرب السكائب لها، افتقرنا الى كل شيء، فبيننا بالسيف والجوع"⁽¹²¹⁾.

-القربان يقدم عند البناء: يمكن ان نقدم مثالا عن ذلك، فبعد الانتهاء من بناء سور مدينة اورشليم من قبل الاسرائيليين العائدين من السبي في القرن الخامس قبل الميلاد، قرروا افتتاحه في احتفال ديني مهيب، لذا تم استدعاء اللاويين من قبل جميع المواطنين الى اورشليم لكي يفتتحوا السور بفرح، وبحمد، وترنيم بالصنوج، والرباب، والعيدان، كما قدموا قرابين للرب ف: "ذبخوا في ذلك اليوم قرابين كثيرة"⁽¹²²⁾.

-القربان من اجل دفع الموت: تتحدث التقاليد اليهودية عن القربان ودوره في دفع الموت، اذ يروي يوسيفوس فلافيوس كيف يقدم قايين على قتل اخيه هابيل ومع ذلك لا يوقع الله عليه عقوبة الموت: "بسبب تقدمته"⁽¹²³⁾.

-قربان يقدم من اجل الموتى: تؤكد التقاليد اليهودية ان القرابين كانت تقدم من اجل الموتى رغم انها لا توضح الهدف من هذا القربان الا اننا يمكن ان نستنتج انها من اجل تكريم الميت، اذ تشير اسطورة ترد في احدى الاسفار المنحولة انه بعد وفاة ادم فأن ابنه شيت، وحفيده انوش، ومعه ابنه قينان خرجوا بعد ان اخذوا قربانا

⁽¹²¹⁾ ارميا، 44: 17-18.

⁽¹²²⁾ نحميا، 12: 43.

⁽¹²³⁾ يوسيفوس فلافيوس، الاثار اليهودية القديمة، 2: (1: 7).

لتقديمه للرب، وجاؤوا الى المذبح الذي كان يقدم عليه ادم قرابينه، وهناك: "قدموا هديتهم لأجل انفسهم ولأجل ابيهم"⁽¹²⁴⁾. كما قدم قينان تقدمة من اجل ابيه انوش بعد وفاته⁽¹²⁵⁾، وبعد وفاة الاخير قدم ابنه مهللئيل قربان من اجله⁽¹²⁶⁾.

¹²⁴ (السفر الثاني لادم وحواء، 9: 7-9؛ 10: 1-2.

¹²⁵ (السفر الثاني لادم وحواء، 14: 4.

¹²⁶ (السفر الثاني لادم وحواء، 15: 13.

مواعيد تقديم القرابين

كان تقديم القرابين في الديانة اليهودية يتم في مواعيد ثابتة، وتندسب الاساطير هذه العادة الى ادم وحواء، أول بشريين، ففي اسطورة نقرأ فيها ان ادم اقترح على زوجته ان يقدموا قربانينهم ثلاث مرات في الاسبوع: "اليوم الرابع (الاربعاء)، وفي يوم الاستعداد (الجمعة)، وفي يوم سبت الاحد"⁽¹²⁷⁾. ونعرف ان ادم كان يقدم قربانا بعد انتهاء سبعة اسابيع أي في اليوم الخمسين⁽¹²⁸⁾. كما نقرأ في وثائقنا عن قربانين يومية، فمن المعروف ان شيت كان يقدم قربانينه كل يوم⁽¹²⁹⁾. ويلخص نص مواعيد القرابين المقدمة اليومية، والشهرية، والسنوية، وفي الاعياد: "كانت المُحرقَات تقدم كل يوم بموجب ما نصت عليه وصية موسى، وفي السبت، وفي مطلع كل شهر قمري، وموسم الاعياد الثلاثة السنوية، وعيد الفطير، وعيد الحصاد، وعيد المظال"⁽¹³⁰⁾؛ واخريقول: "تكون قربانين المُحرقَات، وتقدمت الدقيق، وسكيب الخمر في الاعياد، ورؤوس الشهور، وايام السبت، وفي كل مواسم احتفالات شعب اسرائيل..."⁽¹³¹⁾. وقيل ان الاسرائيليين العائدين من السبي الى اورشليم في العصر الاخميني قد واضبوا على تقديم القرابين في مواعيدها: "احتفلوا بعيد المظال كما هو مكتوب، مقربين مُحرقَات كل بيوم بيومه، وفقا للعدد المطلوب. ثم واضبوا على اصعاد المُحرقَة الدائمة، ومُحرقَات اوائل الشهور، ومواسم اعياد الرب المقدسة..."⁽¹³²⁾. وحسب المادة النصية المتوفرة كان على الاسرائيليين ان يقدموا على

⁽¹²⁷⁾ السفر الاول لادم وحواء، 68: 20.

⁽¹²⁸⁾ السفر الاول لادم وحواء، 68: 25.

⁽¹²⁹⁾ السفر الثاني لادم وحواء، 5: 2.

⁽¹³⁰⁾ اخبار الايام الثاني، 8: 13.

⁽¹³¹⁾ حزقيال، 45: 17.

⁽¹³²⁾ عزرا، 3: 4-5.

مذبح الرب قربابين دائمة كل يوم مؤلفة من: قربان حيواني، وتقدمة الدقيق، والزيت⁽¹³³⁾، وكانت تقدم مرتين في اليوم⁽¹³⁴⁾، اذ يقدم الاسرائيليون حملين حوليين صحيحين كل يوم بصورة مستمرة: "ليكونا محرقة دائمة"، ويقدم احد الحملين في الصباح، والثاني في المساء(وهذا شبيهه بوجبات الطعام في بابل)، ويقدم مع كل منهما عُشر الايفة(حوالي 2.5 لتر) من الدقيق معجون برع الهين(حوالي 1.5 لتر) من زيت الزيتون النقي، ويسكب عليه ربع الهين(1.5 لتر) من الخمر⁽¹³⁵⁾؛ ويقال ان الاسرائيليين المسبيين العائدين الى اورشليم بأمر من كورش الكبير شيدوا هناك مذبحا واصعدوا عليه مُحرقات للرب صباحا ومساءً⁽¹³⁶⁾. ويقول دانيال انه بينما كان يصلي للرب اذ بالملك جبرائيل قد طار مسرعا ولمسه في موعد تقدمه المساء⁽¹³⁷⁾. وكانت تقدمه الخبز تقدم بانتظام كل يوم سبت⁽¹³⁸⁾؛ وكان القربان المعتاد يوم السبت يتضمن تقديم حملين حوليين صحيحين، مع تقدمه من عشرين(حوالي 5 لتر) من دقيق معجون بزيت، ويسكب عليه خمر: "فتكون هذه مُحرقه دائمة في كل سبت علاوة على المُحرقة الدائمة وسكيبها"⁽¹³⁹⁾. وبما ان النص لا يعطي تفاصيل حول موعد تقديم قربابين السبت خلال اليوم، لذا علينا الافتراض ان تلك المواعيد لا تختلف عن تلك الخاصة بالقربابين الاعتيادية، بمعنى يتم تقديم احد الحملين صباحا، والحمل الثاني يقدم مساء. وكان القربان يقدم ايضا في اليوم الاول من الشهر الاول من السنة لتطهير الهيكل⁽¹⁴⁰⁾؛ وهناك ايضا قربابين بداية الشهر، اذ على

¹³³ حزقيال، 46: 15.

¹³⁴ يشوع بن سيراخ، 45: 14.

¹³⁵ خروج، 29: 38-40؛ عدد، 28: 1-8؛ انظر ايضا: اخبار الايام الاول، 16: 40؛ اخبار الايام الثاني، 13: 11.

¹³⁶ عزرا، 3: 3.

¹³⁷ دانيال، 9: 20-21.

¹³⁸ لاويين، 24: 8.

¹³⁹ عدد، 28: 9-10.

¹⁴⁰ حزقيال، 45: 18.

بني اسرائيل ان يقدموا في اليوم الاول من كل شهر مُحرقَة للرب مؤلفة من: ثورين، وكبش واحد، وسبعة حملان حولية صحيحة، وتقدمة من ثلاثة اعشار(حوالي 7.5 لتر) من دقيق معجون بزيت لكل ثور، وتقدمة من عشرين(حوالي 5 لتر) من دقيق معجون بزيت للكبش الواحد. وتقدمة من عشر(حوالي 2.5 لتر) من دقيق معجون بزيت لكل حمل، فتكون مُحرقَة رضا وقربانا للرب، يسكب عليها نصف الهين(حوالي لترين) من الخمر للثور الواحد، وثلاث الهين(حوالي 1.33 لتر) من الخمر للكبش الواحد، وربع الهين(حوالي لتر واحد) من الخمر للحمل الواحد. فضلا عن ذلك عليهم ان يقدموا تيسا واحدا من الماعز ذبيحة خطيئة، علاوة على المُحرقَة اليومية الدائمة المقربة⁽¹⁴¹⁾. كما نعرف عن وجود ذبائح سنوية تقدم للرب من قبل كل عشيرة، فداود يتفق مع يوناثان ابن الملك شاؤول بأن يخبر الاخير والده بأن داود قد استأذن في الذهاب الى مدينته بيت لحم: "للمشاركة في الذبيحة السنوية التي تقام لكل عشيرة"⁽¹⁴²⁾. ويقال ان سليمان(962-932 قبل الميلاد) كان يقرب مُحرقَات، وذبائح سلام على المذبح الذي بناه للرب ثلاث مرات في السنة⁽¹⁴³⁾. وكان الكهنة اللاويون يقدمون ذبيحة خطيئة في اليوم الذي يُقبلون فيه الى القدس(المكان المخصص لعبادة الرب)، حيث الساحة الداخلية للهيكل لممارسة الطقوس الدينية⁽¹⁴⁴⁾. ويذكر الاسرائيليون العائدون من السبي الى اورشليم انهم القوا القرعة ليقرروا متى يتحتم على كل عائلة من عائلات اسرائيل ان تجلب تقدماتهم السنوية من الحطب الى بيت الرب، لإحراقها على المذبح⁽¹⁴⁵⁾. وكان طوبيت يذهب الى اورشليم في الاعياد ويقدم غلته، واعشار غنمه مما جز صوفه لأول مرة، وكان يقدمها الى المذبح على ايدي كهنة

⁽¹⁴¹⁾ عدد، 28: 11-15.

⁽¹⁴²⁾ صموئيل الاول، 20: 6.

⁽¹⁴³⁾ الملوك الاول، 9: 25.

⁽¹⁴⁴⁾ حزقيال، 44: 27.

⁽¹⁴⁵⁾ نحميا، 10: 34.

بني هارون، وكان يهب القسم الاول مما تبقى من غلته الى بني لاوي الذين يخدمون الرب في اورشليم⁽¹⁴⁶⁾. ولم تكن الذبائح تقدم فقط الى الرب بشكل منتظم بل الى الالهة الاخرى، اذ كان الاسرائيليون في السامرة يقدمون الذبائح بشكل منتظم في بيت ايل مما يشير الى انها كانت تقدم الى العجلين اللذين اقامهما يربعام للعبادة: "تعالوا الى بيت ايل وارتكبوا المعاصي، واقبلوا الى الجلجال وكثروا ذنوبكم، قربوا ذبائحكم كل صباح، وعشوركم كل ثلاثة ايام"⁽¹⁴⁷⁾. وأشارت وثيقة الهيكل، وهي احدى مخطوطات البحر الميت الى تقديم القرابين في مواقيت يومية، أو اسبوعية، أو شهرية، فضلا عن قرابين الاعياد⁽¹⁴⁸⁾.

¹⁴⁶ طوبيا، 1: 6-7.

¹⁴⁷ عاموس، 4: 4.

¹⁴⁸ هالة العوري، اهل الكهف: قراءة في مخطوطات البحر الميت، (بيروت: رياض الريس للنشر والتوزيع، 2000)، ص 329.

اماكن العبادة

• المعابد:

من المعروف ان الاسرائيليين في بلاد كنعان قدسوا الاله يهوه، وان موسى نبي الاسرائيليين الذين اعتنقوا عبادة يهوه قد تزوج في طور سيناء من بنت كاهن مدينة مدين الذي كان يعبد يهوه، وكان هذا الاله في الاصل هو الاله القمر الذي عرف بين عرب الجنوب باسم ود. وكان اهل مدين يقدمون له الضحايا والنذور في خيمة بسيطة⁽¹⁴⁹⁾. التي كانت بلا شك الجذور الاولى للمعبد الاسرائيلي. ومن المعروف ان المعابد الاسرائيلية بنيت طبقا للنماذج الكنعانية، فهي تحتوي على مذبح(Massebah)(حجارة منصوبة)، وعلى عشيرة(asherah) وهي انية من الخشب ترمز للربة الكنعانية التي تحمل ذات الاسم-ولا نعرف تحديدا وظيفتها- وهناك انية للإراقة⁽¹⁵⁰⁾. ونعرف كذلك ان الاسرائيليين عدوا اورشليم مدينة مقدسة، من اجل العبادة وتقديم الذبائح في الهيكل⁽¹⁵¹⁾. ونحن نعرف من وثيقة متأخرة انه في معبد اورشليم هناك ثلاثة مبانٍ مخصصة لتقديم الذبائح: "واحد مواجه للغرب يدعى القدس، والاخر يواجه الجنوب يدعى قدس القداسة، اما الثالث (ف)يواجه الشرق ويدعى قدس الاقداس، (وهو)المكان الذي يدخله فقط رئيس الكهنة"⁽¹⁵²⁾. ويبدو ان سقوط اورشليم العاصمة الدينية والسياسية واحراق المعبد وتدميره من قبل البابليين ادى الى انقطاع الاضاحي التي تقدم الى يهوه⁽¹⁵³⁾، كما تشير الى ذلك النصوص المختلفة في العهد القديم. ويقال ان كورش الكبير(529-559 قبل الميلاد)

¹⁴⁹ الدباغ، الهة فوق الارض، ص117.

¹⁵⁰ الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية ج1، ص226.

¹⁵¹ طوبيا، 1: 4.

¹⁵² انجيل فيلبس، 64: 1-4.

¹⁵³ الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ج1، ص429-430.

اصدر امرا لإعادة بناء الهيكل، وهو امر لا نقرأ عنه في الوثائق الاخمينية، حتى يتمكن الاسرائيليون من تقديم الذبائح فيه: "ليعد بناء الهيكل الذي يقربون فيه الذبائح"⁽¹⁵⁴⁾. ويذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس ان انطيوخوس الثالث بعد احتلاله فلسطين عام 198 قبل الميلاد، منح عدة امتيازات للجالية اليهودية في اورشليم منها: تعهده بتقديم الاضاحي لمعبد اورشليم، وان كان البعض يشكك بمصداقية هذه الرواية⁽¹⁵⁵⁾. وعندما وصل القائد السلوقي نيكانور الى جبل صهيون عام 161 قبل الميلاد خرج بعض الكهنة وشيوخ الشعب من الهيكل لاستقباله بحفاوة ودعوه الى مشاهدة المُحرقات التي قدموها باسم الملك⁽¹⁵⁶⁾. وكان الافراد يتجهون عادة الى الهيكل لتقديم قربانهم، ف طوبيا عادة ما يذهب الى اورشليم برفقة صديقيه حننيا وناثان ابني سمليا من اجل الصلاة وتقديم الاعشار وبواكير الغلال⁽¹⁵⁷⁾. ويتحدث احد العابدين انه ادخل الى بيت الرب المُحرقات⁽¹⁵⁸⁾. ونعرف ان الایسینین وهم احدي الفرق اليهودية الذين ظهروا ما بين (150-30 قبل الميلاد) كانوا يقدمون قربانهم في معبد الجالية اليهودية في اورشليم⁽¹⁵⁹⁾.

• المواقع المكشوفة والمرتفعات:

تتحدث النصوص الاسرائيلية عن تقديم فروض العبادة والقرايين في مواقع مكشوفة، فعادة ما نقرأ عن مذابح شيدت في العراء، وتتحدث الاساطير اليهودية عن هذه الحالة بجلاء، فهناك اسطورة تذكر ان ادم هو اول من انشأ مذبحاً مكشوفاً

¹⁵⁴ عزرا، 6: 3.

¹⁵⁵ سامي سعيد الاحمد، تاريخ فلسطين القديم، (بغداد: مركز الدراسات الفلسطينية، 1979)، ص 295-296.

¹⁵⁶ المكابيين الاول، 7: 33.

¹⁵⁷ طوبيا، 5: 14.

¹⁵⁸ مزامير، 66: 13.

¹⁵⁹ الاحمد، تاريخ فلسطين القديم، ص 366. من الجدير بالذكر ان افتراضا يقدم من قبل البعض يشيران الایسینین تم اقصائهم عن الهيكل لانهم يمتنعون عن تقديم القرايين الحيوانية. انظر: العوري، اهل الكهف، ص 222.

لتقديم القرابين، اذ اخذ هو وحواء حجارة ووضعاهما على شكل مذبح، ثم اخذوا اوراق الاشجار الموجودة خارج الجنة، ومسحوا بها الدم الذي اريق من ادم وحواء انفسهما. وكان الدم الذي وقع على الرمل، قد اخذاه سوياً مع التراب الذي امتزج به، وقدماه تقدمة للإله على المذبح⁽¹⁶⁰⁾. كما قدم ادم وحواء فيما بعد قربانا اخر على المذبح ذاته⁽¹⁶¹⁾. وفيما بعد اوصى شيت ابن ادم ابناؤه واحفاده بأن يبنوا سقفا فوق هذا المذبح، لذا هبوا: "جميعا كلا من الشيوخ والشباب وعملوا بجهد فيه، وبنوا سقفا جميلا على المذبح"⁽¹⁶²⁾. وبعد نهاية الطوفان بنى نوح مذبحا في العراء وقدم قربانيه للرب⁽¹⁶³⁾. وعندما وصل ابرام الى بلوطة مورة في ارض كنعان تراءى الرب له وقال انه سهب هذه الارض الى نسله، لذا قام ابرام ببناء: "مذبحا للرب الذي تراءى له"⁽¹⁶⁴⁾. وحينما وصل ابرام الى جبل يقع شرقي بيت ايل: "نصب خيمته... وبنى هناك مذبحا للرب"⁽¹⁶⁵⁾. وعندما وصل ابرام الى بلوط ممرا الواقعة في حبرون: "اقام هناك، وبنى مذبح للرب"⁽¹⁶⁶⁾. ونقرأ أيضا ان اسحاق عندما وصل الى بئر سبع تراءى له الرب، وباركه، ووعد ان يُكثّر نسله لذا: "بنى اسحاق هناك مذبحا، ودعا باسم الرب"⁽¹⁶⁷⁾. ويقال ان يعقوب نصب عمودا من حجر، وصب عليه زيتا ليكرسه للرب، وسمى المكان الذي وضعه فيه باسم بيت ايل⁽¹⁶⁸⁾. وعندما وصل يعقوب الى مدينة شكيم اشترى من بني حمور قطعة ارض نصب فيها خيمته، واقام فيها مذبحا ودعاها

¹⁶⁰ (السفر الاول لادم وحواء، 23: 1-5).

¹⁶¹ (السفر الاول لادم وحواء، 68: 10-11).

¹⁶² (السفر الثاني لادم وحواء، 12: 1-3).

¹⁶³ (تكوين، 8: 20).

¹⁶⁴ (تكوين، 12: 6-7).

¹⁶⁵ (تكوين، 12: 8).

¹⁶⁶ (تكوين، 13: 18).

¹⁶⁷ (تكوين، 26: 23-25).

¹⁶⁸ (تكوين، 28: 18-19).

باسم ايل اله اسرائيل⁽¹⁶⁹⁾. ولاحقا نعرف ان الله يخاطب يعقوب ويأمره ان يتترك شكيم ويتجه الى بيت ايل وان يقوم ببناء مذبح لله هناك⁽¹⁷⁰⁾. وبالفعل يصل يعقوب الى مدينة لوز الكنعانية التي ابدل اسمها الى بيت ايل ويبني هناك مذبحا لله⁽¹⁷¹⁾. وعندما تراءى الله ليعقوب في بيت ايل وباركه، نصب يعقوب هناك عمودا من حجر، وسكب عليه خمرا، وصب زيتا ليكرسه للرب⁽¹⁷²⁾. وقيل ان موسى بعد انتصار بني اسرائيل على العماليق؟!؟! بنى مذبحا للرب وسماه: "الرب رايتي"⁽¹⁷³⁾. ولاحقا نقرأ كيف يأمر الرب موسى ان يشيد له مذبحا من تراب من اجل ان يذبخوا عليه الذبائح من الاغنام والابقار، ولكن ان قرر الاسرائيليون ان يبنا مذبحا للرب من الحجارة فلا يجوز لهم نحتة، لان الازميل المعدني يدنسه⁽¹⁷⁴⁾. ونعرف ان موسى بنى مذبحا في اسفل احد الجبال لم يرد اسمه في النص، ورفع اثني عشر عمودا بعدد اسباط بني اسرائيل⁽¹⁷⁵⁾، من غير ريب من اجل تقديم القرابين. وعندما وصل رجال سبطي روأبين، وجاد، ونصف سبط منسي حوض الاردن شيّدوا على ضفاف نهر الاردن مذبحا رائع المنظر اطلقوا عليه اسم الشاهد لانهم قالوا-حسب ما يذكر العهد القديم- انه شاهد بأن الرب هو الهنا⁽¹⁷⁶⁾. وجدعون (وهو احد قضاة اسرائيل) الذي التقى بملاك الرب وجها لوجه عندما كان يقدم قربانه للرب تحت بلوطة في قرية

¹⁶⁹ تكوين، 33: 18-20.

¹⁷⁰ تكوين، 35: 1.

¹⁷¹ تكوين، 35: 6-7.

¹⁷² تكوين، 35: 9-15.

¹⁷³ خروج، 17: 15.

¹⁷⁴ خروج، 20: 24-25.

¹⁷⁵ خروج، 24: 4.

¹⁷⁶ يشوع، 22: 10. وحول المشاكل الدينية التي تسببها تشييد هذا المذبح والجدال الذي دار بين الاسباط حوله

انظر: 22: 11-34.

عفرة يقوم ببناء مذبح للرب سماه: يهوه شلوم (الرب سلام)⁽¹⁷⁷⁾. وبعد انتصار الملك شاؤول على الفلسطينيين في مخماس (مدينة تقع شمال شرق اورشليم)، وطاردهم الى ايلون (مدينة تقع غرب مخماس وشمال غرب اورشليم) شيد هناك: "مذبحا للرب، فكان اول مذبح يشرع في بنائه"⁽¹⁷⁸⁾. ونعرف ان الاسرائيليين القدماء قدموا قرايبتهم الى الالهة على الجبال كما قدموها على التلال وتحت الاشجار، وهوشع يصف بدقة هذا الطقس بقوله: "نبذوا الههم وزنوا وراء اخر، (و)ذبخوا على قمم الجبال، واصعدوا تقدماتهم على التلال، وتحت شجر البلوط، والهور، والبطم لطيب ظلها..."⁽¹⁷⁹⁾. ونعرف ان الجبال والمواقع المرتفعة كانت اماكن مفضلة للإسرائيليين من اجل تقديم قرايبتهم، فعندما قرر الرب ان يعبر بنو اسرائيل نهر الاردن الى بلاد كنعان نجد موسى يؤكد للإسرائيليين على عدم تقديم القرايبتين الا في الاماكن التي يحددها الرب: "اطلبوا المكان الذي يختاره الرب الهكم وسط اسباطكم ليضع عليه اسمه، ويكون مقر سكناه. اليه تذهبون، وتقدمون مُحرقاتكم، وذبائحكم، وعشوركم، وتقدماتكم، وندوركم، وقرايبتكم الطوعية، وابكار بقركم، وغنمكم..."⁽¹⁸⁰⁾. ومن ثم يؤكد موسى امره هذا: "لكن متى اجتزتم نهر الاردن واستوطنتم الارض التي وهبها لكم الرب الهكم، واراحكم من جميع اعدائكم المحيطين بكم، وسكنتم امنين، فاحملوا جميع ما اوصيتكم به من مُحرقات، وذبائح وعشور، وتقدمات ايديكم، وقرايبت طوعية التي تنذرونها للرب الى المكان الذي يختاره الرب الهكم ليحل فيه اسمه..."⁽¹⁸¹⁾. ويحذر موسى الاسرائيليين بشدة بأن لا يقدموا المُحرقات في اي مكان يرغبون فيه، بل عليهم ان يُصعدوا مُحرقاتهم في المكان الذي

⁽¹⁷⁷⁾ قضاة، 6: 24.

⁽¹⁷⁸⁾ صموئيل الاول، 14: 35.

⁽¹⁷⁹⁾ هوشع، 3: 13.

⁽¹⁸⁰⁾ تثنية، 12: 5-6.

⁽¹⁸¹⁾ تثنية، 12: 10-11.

يختاروه الرب فقط⁽¹⁸²⁾. ويظهر من رواية ان المكان الذي يريد الرب من بني اسرائيل ان يقدموا قربانهم فيه بعد عبور نهر الاردن هو جبل عيبال: "ما ان تعبروا نهر الاردن حتى تنصبوا هذه الحجارة التي انا اوصيكم بها اليوم (حجارة مدون عليها كلمات الشريعة) على جبل عيبال، وتطلونها بالكلس. وتبنون هناك مذبحا للرب الهكم، من حجارة غير منحوتة بحديد، بل من حجارة الحقل الخشنة، لتقدموا عليها مُحرقات للرب الهكم. وهناك تقربون ذبائح سلام، وتحتفلون في حضرة الرب الهكم..."⁽¹⁸³⁾. وبالفعل ما ان يعبر الاسرائيليون نهر الاردن الى ارض كنعان ويقتحموا مدينتي اريحا وعاي⁽¹⁸⁴⁾ حتى يبادر يشوع بتشديد مذبحا للرب عند جبل عيبال مبنيا من حجارة صحيحة، لم يتم نحتها بألة من حديد، قدم عليه الإسرائيليون مُحرقات، وقربوا ذبائح سلامة، ونقش يشوع على حجارة المذبح نسخة من شريعة موسى⁽¹⁸⁵⁾. وكانت المواقع المخصصة لتقديم القرابين على الجبال تسمى المرتفعات وهي اماكن مرتفعة على رؤوس الهضاب أو قمم الجبال، كانت في بداية الأمر تفضل لإقامة المذابح عليها، ويؤكد حزقيال ان تقديم القرابين على المرتفعات عادة كنعانية اخذها عنهم الاسرائيليون: "عندما جئت بهم (أي الاسرائيليين) الى الارض التي اقسمت ان اهبها لهم (ارض كنعان)، ورأوا كل اكمة مرتفعة، وكل شجرة وارفة، فذبحوا قربانهم هناك، وقربوا ذبائحهم المُغيظة، واصعدوا تقدمات، روائح الرضا، وسكبوا سكائب

¹⁸² (تثنية، 12: 13.

¹⁸³ (تثنية، 27: 1-7.

¹⁸⁴ اما ما يخص المدن الكنعانية التي ادعى سفريشوع تدميرها اثناء الفتح العسكري لها فإن التنقيب الاثري قد فشل حتى الان في تقديم الدلائل على تاريخية الرواية التوراتية. فمدينة اريحا دمرت في عصر البرونز الوسيط حوالي عام 1560 قبل الميلاد أي قبل الهجرات الاسرائيلية المفترضة عام 1280 أو 1250 قبل الميلاد. اما مدينة عاي (موقع التل حاليا) التي من المفترض انها دمرت من قبل يشوع فقد اثبتت التنقيبات الاثرية ان هذه المدينة كانت مزدهرة خلال عصر البرونز المبكر ثم هجرت تماما خلال عصر البرونز الوسيط وعصر البرونز الاخير أي قبل الوصول المفترض للإسرائيليين بحوالي 10 قرون. انظر: السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص 94-95.

¹⁸⁵ (يشوع، 8: 30-32.

خمرهم، فسألهم: ما هذه المرتفعات التي تأتون اليها؟ فدعيت مرتفعة الى هذا اليوم⁽¹⁸⁶⁾. ونعرف من خلال العهد القديم ان هناك نوعين من المرتفعات الاولى تقدم عليها القرابين للرب، والثانية تقدم عليها القرابين للآلهة الوثنية⁽¹⁸⁷⁾. ونقرأ ان الاسرائيليين كانوا ما يزالون يقدمون الذبائح على المرتفعات حتى زمن سليمان لان بيت الرب لم يكن قد بُني بعد⁽¹⁸⁸⁾. ويقال ان سليمان واضب على تقديم ذبائح، وايقاد البخور على المرتفعات⁽¹⁸⁹⁾، ويظهر انه قدمها للرب، وللآلهة الوثنية ايضا كما سنرى لاحقا، فذات مرة ذهب سليمان الى جبعون ذات المرتفعات العظيمة، واصعد هناك الف مُحرقه على المذبح⁽¹⁹⁰⁾. ويبدو من سياق الحادثة انه قدم قرابينه على المرتفعات للرب، فنحن نقرأ عن وجود مسكن للرب عند مرتفعة جبعون⁽¹⁹¹⁾، ويقال ان مسكن الرب ومذبح المُحرقه اللذين صنعهما موسى في البرية كانا في مرتفعة جبعون⁽¹⁹²⁾. وهذا يظهر بشكل مؤكد من رواية اخرى حول تقديم سليمان قرابينه للرب عند مرتفعة جبعون، اذ لما تولى سليمان العرش حتى خاطب جميع رؤساء الالوف والمئات والقضاة، وكل رئيس من رؤوس عائلات اسرائيل طالبا اليهم مرافقته الى المرتفعة التي في جبعون حيث نُصبت خيمة الاجتماع التي صنعها موسى، لكن الخيمة لم تكن تحتوي على تابوت الرب لان داود قد نقله من قرية يعاريم الى الخيمة التي هيأها له

¹⁸⁶ حزقيال، 20: 28-29.

¹⁸⁷ يمكن ان نقرأ عن حزقيال كيف ان الرب سيدمر المرتفعات المخصصة للأصنام: "ها انا اجل عليكم سيفا، واهدم مرتفعاتكم، فتصبح مذابحكم اطلالا، وتتحطم مذابح بخوركم، واطرح قتلاكم امام اصنامكم، والقبي جثث ابناء اسرائيل امام اوثانهم، وأذري عظامكم حول مذابحكم، وحيثما تقيمون تتحول مدنكم الى اطلال، ومرتفعات عبادتكم الى خرائب، واصنامكم الى حطام ودمار، ومذابح بخوركم الى انقاض". انظر: 6: 3-6.

¹⁸⁸ الملوك الاول، 3: 2.

¹⁸⁹ الملوك الاول، 3: 3.

¹⁹⁰ الملوك الاول، 3: 4.

¹⁹¹ اخبار الايام الاول، 16: 39.

¹⁹² اخبار الايام الاول، 21: 29.

في اورشليم، في حين كان مذبح النحاس الذي صنعه بصلئيل بن اوري بن حور لا يزال قائما امام مسكن الرب هناك، فتوجه سليمان ومرافقوه ليقربوا عليه، فقدم هناك 1000 مُحرقاة الى الرب على مذبح النحاس الذي في خيمة الاجتماع⁽¹⁹³⁾. ويؤكد الرب للإسرائيليين انه يتقبل قربانهم عند احد جبال اسرائيل: "في جبل قدسي، جبل اسرائيل الشامخ، هناك يعبدوني في الارض شعب اسرائيل كلهم. هناك ارضا عنهم والتمس تقدماتكم وباكورة غلاتكم مع جميع مقدساتكم، وارضاً عنكم كرائحة سرور..."⁽¹⁹⁴⁾. اما بالنسبة للآلهة الوثنية فيظهر انها تلقت القرابين على المواقع المرتفعة ايضاً، اذ شيد سليمان مرتفعات للآلهة الوثنية لتقديم القرابين عليها: "واقام على تل شرقي اورشليم مرتفعاً لكموش اله المؤابيين الفاسق، ولملوك اله بني عمون البغيض"، كما شيد مرتفعات لجميع نساؤه الغريبات (المؤابيات، العمونيات، الادوميات، الصيدونيات، والحيثيات)، اللواتي رحن يوقدن البخور عليها، ويقربن المُحرقات لآلهتهن⁽¹⁹⁵⁾. ونعرف ان ملوك اسرائيل ومهودا شيدوا لأنفسهم مرتفعات في جميع المدن التي تحت سيطرتهم، واقاموا لأنفسهم انصاباً، وتمثيل لعشتاروت على كل تل مرتفع، وتحت كل شجرة خضراء، و: "قربوا مُحرقات على جميع المرتفعات..."⁽¹⁹⁶⁾. ويقال ان يربعام (901-922 قبل الميلاد) المؤسس المفترض لمملكة اسرائيل قد شيد: "مذابح عبادة على التلال، كرس لها كهنة من عامة الشعب لا ينتمون الى سبط لاوي"⁽¹⁹⁷⁾. وبعد سقوط السامرة عاصمة مملكة اسرائيل بيد الاشوريين، وترحيل سكانها، واسكان محلهم مواطنين من بابل، وكوث، وعوا، وحماة،

¹⁹³ اخبار الايام الثاني، 1: 2-6.

¹⁹⁴ حزقيال، 20: 40-41.

¹⁹⁵ الملوك الاول، 11: 7-8.

¹⁹⁶ الملوك الثاني، 17: 9-11.

¹⁹⁷ الملوك الاول، 12: 31؛ اخبار الايام الثاني، 11: 15.

وسفروايم، اخذ السكان يقدمون قرايبنهم على المرتفعات هناك⁽¹⁹⁸⁾. ويبدو ان مذابح المرتفعات ظلت قائمة في مملكة يهوذا ايضا ، اذ نقرأ ان سكان يهوذا في عهد رحبعام بن سليمان(915-932 قبل الميلاد) قد اقاموا مرتفعات، وانصابا، وتمائيل على كل تل مرتفع، وتحت كل شجرة خضراء⁽¹⁹⁹⁾. وكانت تلك المرتفعات قائمة خلال عهد اسا بن ابيام/ايا بن رحبعام(913-873 قبل الميلاد): "اما مذابح المرتفعات فلم يهدمها"⁽²⁰⁰⁾. ولكن في رواية ثانية نقرأ نقيض ذلك: "ازال المذابح الغريبة، والمرتفعات"⁽²⁰¹⁾. ولكن نقرأ لاحقا في المصدر ذاته ان المرتفعات لم تستأصل كلها من يهوذا⁽²⁰²⁾، دلالة على شيوعها. كما نقرأ عن وجودها في عهد يهوشافاط بن اسا(849-873 قبل الميلاد): "ان مذابح المرتفعات لم تهدم، بل كل الشعب لا يزال يوقد عليها"⁽²⁰³⁾. وان كنا نقرأ كما هو الحال مع اسا رواية تشير الى عكس ذلك، والتي تؤكد ان هذا الملك: "استأصل ايضا المرتفعات، وتمائيل عشتاروت من يهوذا"⁽²⁰⁴⁾، ثم يعود المصدر ذاته الى القول ان المرتفعات في عهد يهوشافاط لم يتم استئصالها⁽²⁰⁵⁾. ونعرف ان يهورام

¹⁹⁸ (الملوك الثاني، 17: 32.

¹⁹⁹ (الملوك الاول، 14: 23.

²⁰⁰ (الملوك الاول، 15: 14.

²⁰¹ (اخبار الايام الثاني، 14: 3.

²⁰² (اخبار الايام الثاني، 15: 17.

²⁰³ (الملوك الاول، 22: 43.

²⁰⁴ (اخبار الايام الثاني، 17: 6. ان الادلة الاثرية تؤكد عبادة مملكة يهوذا للربة عشتاروت، ففي مكان لا يبعد كثيرا عن جدار هيكل سليمان المفترض عثرت المنقبة كاثلين كينيون على معبد كنعاني في اورشليم يرجع بتاريخه الى المدة الاخيرة من حياة المدينة قبل الدمار البابلي، يتصدر الحرم الرئيس فيه نصب المازيبوت المعروف في بقية المعابد الكنعانية، وهو عبارة عن عمودين حجرين يرمزان الى عبادة الخصوبة. كما عثرت المنقبة في مستودع تابع لهذا المعبد على عدد كبير من الدمى العشتارية التي تمثل الهة الخصب الكنعانية في وضعيتها التقليدية المعروفة، اذ تظهر الالهة ممسكة بنهدها. وفي بقية المدن الفلسطينية، ثم العثور في الطبقات العائدة لعصر الحديد الثاني على الكثير من الدمى العشتارية في اوضاع مختلفة ولاسيما في موقع بيت شمش، اذ تظهر الالهة هنا في هيئة الحامل مع التركيز على البطن الكبير المنتفخ. انظر: السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص 170.

²⁰⁵ (اخبار الايام الثاني، 20: 33.

بن يهوشافاط(849-842 قبل الميلاد) شيد المرتفعات في جبال يهوذا⁽²⁰⁶⁾. كما استمر سكان يهوذا من تقديم القرابين على مذابح المرتفعات خلال عهد ملكها يهواش/يواش بن اخزيا(837-800 قبل الميلاد): "غير انه لم يهدم المرتفعات، بل ظل الشعب يذبح ويوقد عليها"⁽²⁰⁷⁾. وفي عهد ابنه امصيا(800-783 قبل الميلاد) الذي: "لم يهدم المرتفعات، بل ظل الشعب يذبحون عليها ويوقدون"⁽²⁰⁸⁾؛ وكذلك في عهد عزريا/عُزريا بن امصيا(783-742 قبل الميلاد) الذي: "لم يهدم المرتفعات، وظل الشعب يقربون عليها ويوقدون"⁽²⁰⁹⁾. وابنه يوثام بن عُزريا(742-735 قبل الميلاد) الذي هو الاخر: "لم يهدم المرتفعات، وظل الشعب يقربون عليها ويوقدون"⁽²¹⁰⁾. ويقال عن احاز بن يوثام(735-715 قبل الميلاد) بأنه ذبح، وقرب مُحرقات، وواقد للأوثان على المرتفعات، وعلى التلال، وتحت كل شجرة خضراء⁽²¹¹⁾. وهو لم يكتف بذلك بل بني مذابح في كل زاوية في اورشليم، واقام في كل مدينة من مدن يهوذا مرتفعات ليوقد عليها لألهة اخرى⁽²¹²⁾. ويبدو ان هذه المرتفعات كانت تخص الالهة الوثنية وليس الرب⁽²¹³⁾. وبقيت هذه المرتفعات قائمة الى عهد حزقيا بن احاز(715-687 قبل الميلاد) الذي: "ازال معابد المرتفعات، وحطم التماثيل، وقطع اصنام عشتاروت..."⁽²¹⁴⁾. ويبدو ان تدمير المرتفعات في عهد حزقيا جرى نتيجة هياج ديني اصاب الناس، فبعد ان انتهى الاسرائيليون الاحتفال بعيد الفطير حتى اندفعوا الى

²⁰⁶ اخبار الايام الثاني، 21: 11.

²⁰⁷ الملوك الثاني، 12: 3.

²⁰⁸ الملوك الثاني، 14: 4.

²⁰⁹ الملوك الثاني، 15: 4.

²¹⁰ الملوك الثاني، 15: 35.

²¹¹ الملوك الثاني، 16: 4؛ اخبار الايام الثاني، 28: 4.

²¹² اخبار الايام الثاني، 28: 24-25.

²¹³ بارتون واخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص767.

²¹⁴ الملوك الثاني، 18: 4.

مدن يهوذا وحطموا الانصاب، وقطعوا تماثيل عشتاروت، وهدموا المرتفعات، والمذابح في كل ارض يهوذا وبنيامين، وفي ارض افرايم ومنسي حتى استأصلوها⁽²¹⁵⁾. لكن ولده منسي الذي تولى العرش من بعده والذي اعاد كل العبادات الوثنية، اعاد تشييد المرتفعات: "ارتكب الشرفي عيني الرب، مقترفا رجاسات الامم الذين طردهم الرب من امام بني اسرائيل، فعاد وشيد معابد المرتفعات التي هدمها ابوه حزقيا، واقام مذابح البعل، ونصب تماثيل عشتاروت..."⁽²¹⁶⁾. ويقال ان منسي قد تاب لاحقا فأزال الالهة الغريبة والاصنام من هيكل الرب، وهدم المذابح التي بناها في تل الهيكل وفي اورشليم⁽²¹⁷⁾. الا ان توبة منسي لم تؤد الى القضاء على المرتفعات حتى عهد يوشيا بن امون (640-609 قبل الميلاد) الذي قام في عام 628 قبل الميلاد بحملة تطهير ارض يهوذا واورشليم من المرتفعات، كما هدم مذابح البعل⁽²¹⁸⁾.

²¹⁵ اخبار الايام الثاني، 31: 1.

²¹⁶ الملوك الثاني، 21: 2-3؛ اخبار الايام الثاني، 33: 2-3؛ انظر ايضا: السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص 259.

²¹⁷ اخبار الايام الثاني، 33: 15.

²¹⁸ اخبار الايام الثاني، 34: 3-4.

الكهنة

كان الاسرائيليون كغيرهم من القدماء لا يقدمون تقدماتهم الا بأشراف الكهنة، سواء كانت تلك القرابين تخص الافراد، أو الشعب، وكان الكهنة اللاويون هم الذين يقدمون الاضاحي الى يهوه⁽²¹⁹⁾، "قال الرب لهارون: ها انا قد وليتك القيام بخدمة قراييني..."⁽²²⁰⁾. وكانت اسرة هارون احد فروع اللاويين⁽²²¹⁾، هم الذين تولوا خدمة الرب، وتقديم المُحرقات على مذبح المُحرقة، والبخور على مذبح البخور، فضلا عن تأدية كل خدمات قدس الاقداس، ومباركة الشعب، وللتكفير عن اسرائيل بموجب ما أمر به موسى⁽²²²⁾. وكانت خدمة الرب تتضمن: الاعتناء بالدور والحجرات في المعبد، وتطهير كل شيء مقدس من اجل العبادة، والاهتمام بسائر متطلبات خدمة الهيكل التي تشمل: تحضير خبز التقدّمات، ودقيق التقدّمات، ورفاق الفطير، وما يُخبز على الصاج، والدقيق المعجون بالزيت، والمساعدة في تقرب مُحرقات الرب بصورة منتظمة ايام السبت، ومطالع الشهور القمرية، ومواسم الاعياد⁽²²³⁾، كما يتولى الكهنة رش دم الاضاحي على المذبح⁽²²⁴⁾، لذا يقال عنهم انهم باستمرار: "يُحرقون بخورا امام انفك(الرب)، وقرايين عند مذبحك"⁽²²⁵⁾. ويقال ان داود اوكل الى صادوق الكاهن ورفاقه الكهنة خدمة مسكن الرب القائم على مرتفعة جبعون

⁽²¹⁹⁾ الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ج1، ص227.

⁽²²⁰⁾ عدد، 18: 8.

⁽²²¹⁾ حسب جدول الانساب الاسرائيلي كان للاوي ثلاث ابناء هم: جرشون، وقهات، ومراري، وكان لقهات اربعة ابناء هم: عمرام، ويصهار، وحبرون، وعزنييل، وكان اول ابناء يقهات وهم عمرام له ثلاثة ابناء هم: هارون، وموسى، ومريم. انظر: اخبار الايام الاول، 6: 1-3. وحول نسب كل من الابناء الثلاثة للاوي انظر: 23: 6-23.

⁽²²²⁾ اخبار الايام الاول، 6: 49؛ 23: 13.

⁽²²³⁾ اخبار الايام الاول، 23: 28-31.

⁽²²⁴⁾ اخبار الايام الثاني، 30: 16.

⁽²²⁵⁾ تثنية، 33: 10.

ليقربوا على مذبح المُحرقة قربانين للرب بصورة دائمة في كل صباح ومساءً⁽²²⁶⁾. وهناك قائمة من المفترض انها تعود الى عهد داود تذكر عدد اللاويين والكهنة العاملين في المعبد⁽²²⁷⁾، والتي تظهر فيها المبالغات الواضحة، فصحيح نحن لا نمتلك احصائية كاملة لأعداد الكهنة في الحضارات الكبرى من امثال بلاد الرافدين، ومصر، وغيرهما، الا اننا لا يمكن ان نصدق ان اياً منهما قد وصل الى هذا العدد في عهد ملك واحد كما ستضح ادناه:

اصناف الكهنة	اعدادهم
القائمون على العمل في بيت الرب	24000 لاوي
النظار والقضاة	6000 لاوي
حراسة البيت	4000 لاوي
العازفون والمرتلون	4000 لاوي
المجموع	38000 لاوي

ويؤكد ابيام/ابيا(913-873 قبل الميلاد) ملك يهوذا ان مهمة اللاويين هي انهم يوقدون للرب مُحرقات كل صباح ومساءً، ويحرقون البخور، ويعدون خبز التقدمة على المائدة الطاهرة⁽²²⁸⁾. وتحدث رواية عن قيام حزقيا ملك يهوذا(715-687 قبل الميلاد) بإعادة تنظيم خدمة الكهنة واللاويين حسب فرقتهم، وعين لكل واحد خدمته بموجب منصبه، ككاهن أو لاوي من اجل تقريب المُحرقات، وتقديم ذبائح السلام، وخدمة التسبيح عند ابواب هيكل الرب⁽²²⁹⁾. ومن ضمن الاجراءات التي اتخذها حزقيا من اجل تنظيم الكهنة هو: تعيين كوننيا اللاوي رئيسا ومشرفا على القائمين بإيداع التقدمة والعشور والاقداص في مخازن بيت الرب، ويساعده في ذلك اخوه

²²⁶ اخبار الايام الاول، 16: 39-40.

²²⁷ اخبار الايام الاول، 23: 1-5.

²²⁸ اخبار الايام الثاني، 13: 11.

²²⁹ اخبار الايام الثاني، 31: 2.

شمعي، ويتبعهما عدد من الكهنة. في وقت كان قوري بن يمنا اللاوي حارس الباب الشرقي، قد اوكل اليه الاشراف على التبرعات الطوعية المقدمة للرب، وعلى توزيع التقدّمات المخصصة للرب، وعطايا الاقداس، ويعاونه عدد من الكهنة مهمتهم توزيع انصبة الكهنة الاخرين حسب فرقهم، من غير تمييز بين كبير وصغير، فضلا عما كانوا يوزعونه كل يوم بيومه على المنتسبين من ذكورهم من ابن ثلاث سنوات فما فوق، وعلى كل من يدخل الى بيت الرب ليقوم بمختلف مهمات خدمته اليومية، وفقا لمسؤولياتهم وفرقهم⁽²³⁰⁾. ونعرف ان الكهنة اللاويين من نسل صادوق الكاهن اصبحوا المسؤولين عن خدمة الهيكل في القرن السادس قبل الميلاد، لكونهم الكهنة الذين لم ينحرفوا عن عبادة الرب، ولم يعبدوا الهة وثنية كغيرهم من اللاويين⁽²³¹⁾:

"اما الكهنة اللاويون من نسل صادوق الذين واطبوا بحرص على حراسة مقدسي حين ضل عني بنو اسرائيل فهؤلاء فقط يتقدمون لخدمتي، ويمثلون في حضرتي ليقربوا لي الشحم والدم...هم وحدهم يدخلون مقدسي، ويتقدمون الى مائدتي لخدمتي، وللمحافظة على شعائري"⁽²³²⁾. ونملك رواية اخرى عن الكهنة المسؤولين عن القرايين والطقوس في المعبد اليهودي تعود للحقبة الاخمينية (اواخر القرن السادس وبدايات القرن الخامس قبل الميلاد)، تشير الى ان قسم من اللاويين يتولى المحافظة على انية الخدمة في هيكل الرب، فكانوا يعدونها كلما اخرجوها من مكانها، ويعيدونها اليه بعد الخدمة الطقسية، ومنهم من اوكل اليهم امر سائر الانية المقدسة، وامر السמיד، والخمر، والبخور، والاطياب، وتولى بعض الكهنة تركيب دهون الاطياب، وكان متنيا/متثيا اللاوي مؤتمنا على تهيئة ما يطبخ من تقدّمات للرب، وهناك كهنة من بني قهات يهيئون خبز التقدمة في كل سبت، فضلا عن ذلك كان هناك الرؤساء اللاويون الذين كانوا مغنين أو مرتلين وكانوا يسكنون بعض غرف

⁽²³⁰⁾ اخبار الايام الثاني، 31: 11-16.

⁽²³¹⁾ حول انحراف اللاويين عن عبادة الرب يمكن ان نقرأ ما رواه حزقيال في 44: 10-14.

⁽²³²⁾ حزقيال، 44: 15-16.

هيكل الرب، وهم لا يعملون اي عمل اخر، لانهم تفرغوا لخدمة التراتيل نهارا وليلا⁽²³³⁾. وتؤكد التشريعات اليهودية انه لا يجوز للكاهن ادخال المُحرقات للهيكل ان كان غير طاهر، وهذا يتضح جيدا خلال الاحتفال بالفصح الذي جرى في عهد الملك حزقيا(687-715 قبل الميلاد) اذ لم يدخل الكهنة المُحرقات الى الهيكل الا بعد ان تطهروا⁽²³⁴⁾. وكان اللاويون هم المسؤولين عن تسلم القرابين من المتعبدين، فعندما اكمل موسى نصب خيمة الاجتماع احضر رؤساء اسباط اسرائيل قرابينهم موضوعة على ست عربات يجرها اثنا عشر ثورا، فأخذ موسى العربات والثيران، وسلمها للاويين، فأعطى اثنين من العربات مع اربعة ثيران لبني جرشون، واربعاً من العربات وثمانية ثيران لبني مراري⁽²³⁵⁾. ويذكر عزرا انه اختار 12 من رؤساء الكهنة، وسلمهم الفضة، والذهب، والانية المقدمة لهيكل الرب، التي تبرع بها الملك الفارسي ارتخششتا الاول(424-465 قبل الميلاد)، وهو امر لا يرد في الوثائق الاخمينية نهائياً، ومستشاروه، وقادته، وسائر الاسرائيليين، وقد بلغ ما تم تسليمه اليهم: 650 وزنة من الفضة(حوالي 23.400كغم)، و100 وزنة من انية الفضة(حوالي 3600كغم)، و100 وزنة من الذهب(حوالي 3600كغم)، و20 قدحا من الذهب قيمتها 1000 درهم، وانباءين من نحاس مصقول لا تقل قيمتهما عن الذهب الثمين، ثم قال لهم: "انت مقدسون للرب، وكذلك الانية المقدسة. اما الذهب، والفضة فقد تم التبرع بها للرب اله ابائكم، فاحرسوها، وحافظوا عليها الى ان يتم وزنها امام الكهنة واللاويين، ورؤساء عائلات اسرائيل في مخادع هيكل الرب"، فتسلم الكهنة، واللاويون الفضة، والذهب، والانية الموزونة ليحملوها الى اورشليم. فلما وصلوا الى اورشليم، قام مريموث بن اوريا الكاهن، والعازار بن فينحاس ومعهما اثنان من اللاويين هما يوزاباد بن يشوع، ونوعديا بن بنوي بوزن الفضة، والذهب، والانية في بيت الرب، وتم

⁽²³³⁾ اخبار الايام الاول، 9: 28-33.

⁽²³⁴⁾ اخبار الايام الثاني، 30: 15.

⁽²³⁵⁾ عدد، 7: 8-6.

تسجيل عددها ووزنها⁽²³⁶⁾. وكان الافراد عندما يقدمون ذبائح للرب، يتطلب حضور كاهن، فعندما امر الرب النبي صموئيل ان يذهب الى بيت رجل يدعى يسي في بلدة بيت لحم قرب اورشليم، لأنه وجد ان احد اولاده يصلح ان يكون ملكا على اسرائيل، مضى صموئيل، ودخل بيت يسي، وذبح للرب، ودعا يسي واولاده الى الذبيحة⁽²³⁷⁾.

لا يعد القربان مقبولا عند الرب الا اذا قدم على يد كاهن، فعندما توجه شاؤول الى الجلجال لمحاربة الفلسطينيين، مكث هناك سبعة ايام في انتظار النبي صموئيل، وعندما تأخر الاخير عن الحضور، وتفرق جيش شاؤول، قرر الملك الاسرائيلي ان يقدم القربان الى الرب: "قدموا الي المحرقة، وذبائح السلام"، ثم قرب المحرقة للرب. وما ان انتهى من تقديمها حتى اقبل صموئيل، فخرج شاؤول للقائه ليتلقى البركة، فسأله صموئيل: "ماذا فعلت؟"، فأجابه شاؤول مبررا سلوكه: "رأيت ان الشعب تفرق عني، وانت لم تحضري موعدك، والفلسطينيون محتشدون في مخماس، فقلت: ان الفلسطينيين متأهبون الان للهجوم علي في الجلجال، وانا لم اتضرع الى الرب بعد طلبا لمعونته، فوجدت نفسي مرغما على تقرب المحرقة". ولكن يبدو ان هذا التبرير لم يرق الى صموئيل، وعده خرقا لأحكام الشريعة، لذا نجده يخاطب شاؤول قائلا: "لقد تصرفت بحماقة، فأنت قد عصيت وصية الرب الهك التي امرك بها، ولو اطعته لثبت ملكك على اسرائيل الى الابد. اما الان فلأنك لم تطع ما امرك الرب به، فإن ملكك لن يدوم، لان الرب قد اختار لنفسه رجلا حسب قلبه، وامره ان يصبح رئيسا على شعبه"⁽²³⁸⁾. ولعل افضل مثال يمكن ان يقدم حول ضرورة وجود الكاهن في تقديم القربان هو حادثة ملك يهوذا المدعو عزريا/عُزيا(783-742 قبل الميلاد) الذي يقال ان قلبه امتلأ بالكبرياء، فخان الرب، ودخل الى الهيكل ليوقد على المذبح البخور، فتبعه الكاهن عزريا ومعه ثمانون كاهنا من كهنة الرب،

⁽²³⁶⁾ عزرا، 8: 24-34.

⁽²³⁷⁾ السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص113.

⁽²³⁸⁾ صموئيل الاول، 13: 8-12.

وقالوا له: "لا يحل لك يا عُزريا ان توقد للرب، فهذا من حق كهنة بني هارون المفريزين وحدهم للإيقاد، اخرج من المكان المقدس لأنك خنت الرب، ولن يكرمك الرب الاله". فغضب عُزريا ورفض ان يترك مجمرة البخور التي كان ممسكاً بها، فأحتم غضب الرب، واذا بمرض البرص يظهر على جبهته امام الكهنة في هيكل الرب حيث كان واقفا الى جوار مذبح البخور⁽²³⁹⁾. وهذه الرواية مهمة جدا في تفاصيلها، فقيام الملك بتقديم البخور في هيكل الرب عدت خيانة للرب ذاته، فلا يجوز لأي شخص ان يقدم بنفسه قربانا، وان قيام عُزريا وقبله شاؤول بتقديم القرابين بأنفسهم كانت له نتائج الكارثية، ادت في حالة شاؤول الى انتهاء ملكه، وفي حالة عُزريا الى اصابته بمرض. ويمكن ان نقدم مثالا اخر حول عدم امكانية تقديم القرابين الا بحضور كاهن، فيهودي يدعى يواقيم الذي بشره ملاك بانه سينجب طفلاً، في وقت لم يكن له اولاد، نجده يسارع لتحضير مقدمة للرب، ولكنه يبلغ الملاك بعدم قدرته تقديمها الا بأمر الكهنة: "انني لا اجرؤ ان اقدمها مقدمة محرقة للرب، الا اذا اعطي لي الامر بسلطة الكاهن للتقدمة"⁽²⁴⁰⁾.

لم يكن الكهنة مسؤولين عن تقديم القرابين الى الرب فحسب، بل ان هناك كهنة في مملكة يهوذا مسؤولين عن احراق البخور على مذابح المرتفعات (المخصصة للآلهة الوثنية) في مدن يهوذا وضواحي اورشليم، واخرين مسؤولين عن حرق الذبائح الى البعل، والشمس، والقمر، ولنجوم السماء، ولسائر الكواكب. ومن المعروف ان هناك كهنة مسؤولين عن احراق الذبائح في كافة مذابح المرتفعات الممتدة من جبع (تبعد 10 كم شمال اورشليم) الى بئر السبع، ويبدو ايضا ان كهنة المرتفعات كانوا يستخدمون مذبح الرب في اورشليم لتقديم الذبائح الى الهتهم الوثنية⁽²⁴¹⁾.

⁽²³⁹⁾ اخبار الايام الثاني، 26: 16-19.

⁽²⁴⁰⁾ انجيل متى المزيف، 3: 6.

⁽²⁴¹⁾ الملوك الثاني، 23: 5-9.

كان الكهنة اللاويون عند الاسرائيليين يرتدون ملابس محددة عند ممارسة الطقوس الدينية ومنها تقديم القرابين، فحالما يدخلون ابواب الساحة الداخلية للهيكل حتى يرتدون ثيابا من كتان، ويمنع عليهم ارتداء ثياب من صوف في اثناء خدمتهم عند ابواب الساحة الداخلية وما يليها، كما يتعممون بعمائم كتانية على رؤوسهم، ويرتدون سراويل كتانية ايضا على احقائهم، ولا يلبسون ما يجعل العرق ينزمن اجسامهم، واذا ما انصرفوا الى الساحة الخارجية حيث يجتمع الشعب، يخلعون ثياب خدمتهم، ويضعونها في مخادع القدس، ثم يرتدون ثيابا اخرى لئلا يقدسوا الشعب بثيابهم. ومن الجدير بالذكر ان الكهنة اللاويين يمنعون عليهم حلق رؤوسهم، كما لا يسمح لهم ان يرخوا شعرهم خصلا، بل يجزون شعر رؤوسهم⁽²⁴²⁾.

في الديانة اليهودية كان القران يتم تناوله من قبل الكهنة بالدرجة الاساس، وفي حالات يتناوله صاحب الاضحية. فمن المعروف ان تقديم اي اضحية الى الرب يسكب الدم على المذبح، ويؤكل اللحم من قبل البشر: "اما ما تقدسونه من اشياء، ندوركم فتحملونها، وتمضون الى المكان الذي يختاره الرب، فتقدمون مُحرقاتكم، اللحم والدم على مذبح الرب الهكم، فيسكب دمها على مذبح الرب، اما اللحم فتأكلونه"⁽²⁴³⁾.

كان الكهنة لهم الجانب الاهم من القرابين أو كما يقول بولس في القرن الميلادي الاول: "الا تعرفون ان من يخدم الهيكل يقتات من تقدمات الهيكل، وان من يخدم المذبح يأخذ نصيبه من الذبائح"⁽²⁴⁴⁾. وهذا الحق للكهنة حسب التشريع اليهودي سُن لكونهم لا يحق لهم الحصول على املاك أو اراضٍ: "لا يكون لهم ميراث، لأنني انا(أي الله) ميراثهم، ولا تعطونهم ملكا في اسرائيل، لأنني ملكهم"⁽²⁴⁵⁾؛ ويقول

²⁴² حزقيال، 44: 17-20.

²⁴³ تثنية، 12: 26-27.

²⁴⁴ كورنثوس الاولى، 9: 13.

²⁴⁵ حزقيال، 44: 28.

يشوع بن سيراخ: "ان الرب لم يورث هارون شيئا من الارض التي يملكها الشعب، ولا خصه بنصيب منها لان الرب هو نصيبه وميراثه"⁽²⁴⁶⁾. وبسبب ذلك كان يحق لهم تناول الاضاحي المقدمة: "لا يرث الكهنة اللاويون، ولا احد من سبط لاوي ملكا، أو نصيبا مع بني اسرائيل، انما يأكلون من مُحرقات الرب، ونصيبه، ولا يرثون مع اخوتهم، لان الرب نصيبهم..."⁽²⁴⁷⁾؛ أو يقال: "يكون طعامهم من تقدمات الحبوب، وذبيحة الخطيئة، وذبيحة الاثم وكل تقدمات مخصصة للرب في اسرائيل. وتكون للكهنة ايضا كل باكورة من باكورات غلاتكم ونتاجكم ومن كل صنوف تقدماتكم، وتعطونهم اول عجينةكم لتحل البركة في بيوتكم"⁽²⁴⁸⁾. وهذا النصيب الذي يقدم للكهنة عُد بمثابة تكريم من الله للكهنة: "لكنه (أي الله) زاد هارون عزة، فخصه مع الكهنة ببواكير ثمار الارض فيشبعون قبل غيرهم من الخبز، ويأكلون من ذبائح الرب التي اعطاها له ولذريته"⁽²⁴⁹⁾. وكانت ببواكير الحنطة، والعُشر المؤلف من الخمر والزيت يكرسه الاسرائيليون لله، ويحفظونه لكهننته الذين يخدمون الله في هيكل اورشليم، وهذه الاطعمة مقدسة لا تسمح الشريعة لاحد من الشعب ان يلمسها باليد⁽²⁵⁰⁾.

وكانت من ميزات الانسان الصالح ان يقدم للكهنة حصتهم من القرابين:

"اتق الرب واكرم الكاهن
واعطه حصته المفروضة عليك
الباكورة وذبيحة الخطيئة
وعطية الاكتاف وذبيحة التقديس

²⁴⁶ يشوع بن سيراخ، 45: 22.

²⁴⁷ تثنية، 18: 1-2.

²⁴⁸ حزقيال، 44: 29-30.

²⁴⁹ يشوع بن سيراخ، 45: 20-21.

²⁵⁰ يهوديت، 11: 13.

وباكورة الاقداس وما اليها"⁽²⁵¹⁾.

يفصل التشريع اليهودي في نصيب الكهنة من القرايين، فبالنسبة لهارون وبنيه (وبالتالي أي شخص من المفترض ينتسب الى هارون من الكهنة) تكون القرايين نصيبا لهم، وفريضة دائمة، اذ يكون من نصيبه قرايين قدس الاقداس، سواء كانت تلك تقدمات دقيق، ام ذبائح مقدمة للتكفير عن الخطايا والآثام، فهذه كلها تكون نصيبا له ولأبنائه. وعلى كل ذكر ان يأكل تلك التقدمات في مكان مقدس، لأنها اصبحت مقدسة. وان كل ما يتم تقديمه للرب من عطايا بني اسرائيل فإن الرب وهما الى هارون وابنائهم وبناته فريضة دائمة، ولا يأكل منها الا من كان طاهرا. كما مُنح هارون ايضا باكورة غلات زيت الزيتون، والخمر، والحنطة التي تقدم الى الرب، وهي ايضا لا يأكل منها من اهل بيته الا من كان طاهرا. وان كل ما هو منذور للرب يكون له، كذلك كل ابقار الهائم، ما عدا بكر الانسان، وبكر الهيمة النجسة فإنه-اي هارون- يقبل فداءهما، على ان يكون فداء الناس من ابن شهر هو خمسة شاقل (حوالي 60 غرام) من الفضة وفقا للوزن المعتمد في القدس، الا انه لا يجوز له ان يقبل فداء بكر البقر، أو الضأن، أو الماعز، لأنه مفرز للرب، بل عليه ان يرش دمه على المذبح، ويحرق شحمه وقودا، ورائحة رضا تسر الرب، اما لحمه فيكون من نصيب هارون،: "وهكذا اعطيك انت، وابنائك، وبناتك، حقا ابديا، جميع تقدمات الاقداس التي يقربها بنو اسرائيل للرب، فيكون هذا ميثاقا ملح ابديا امام الرب، لك، ولنسلك ايضا"⁽²⁵²⁾. اما اللاويون فقد وهبهم الرب كل عُشر في اسرائيل لقاء عملهم الذي يقومون به في خدمة خيمة الاجتماع: "ان العشور التي يقدمها الاسرائيليون للرب وهبتها للاويين نصيبا...". وعلى اللاويين الذين يأخذون العشور نصيبا لهم ان يقدموا عُشره للرب: "متى اخذتم من الاسرائيليين العُشر الذي جعلته نصيبا لكم،

⁽²⁵¹⁾ يشوع بن سيراخ، 7: 31.

⁽²⁵²⁾ عدد، 18: 19-8.

تقدمون عُشره للرب"، وهكذا كان على اللاويين ان يقدموا بدورهم تقدماتهم للرب. الا ان تلك التقدمات تذهب في النهاية الى هارون: "وما تقربونه للرب تعطونه لهارون الكاهن، وعليكم ان تُحضروا للرب افضل جزء واقدهه مما اعطي لكم". والكهنة الذين يتسلمون العشور من حقهم ان يأكلوها في اي مكان هم واهل بيتهم، لأنه اجرة لهم لقاء خدمتهم في خيمة الاجتماع⁽²⁵³⁾. ويؤكد الاسرائيليون العائدون من السبي في ميثاق لهم انهم سيقدمون العشور الى اللاويين، وهم سيقدمون عشرينها الى مخازن الرب: "عُشر محاصيل ارضنا الى اللاويين، لان اللاويين هم الذين يجمعون العشور من جميع مدننا الريفية. ويكون كاهن من ذرية هارون مع اللاويين حين يقوم بجمع العشور، فيودع اللاويون عُشر الاعشار في مخازن هيكل الهنا"⁽²⁵⁴⁾. وهذا يعني ان عُشر الاعشار يتم ادخاله الى مخازن الهيكل. وقد عُهد بهذه المخازن، واوائل المحاصيل، والعشور الى اشخاص معينين، ليجمعوا فيها من حقول المدن ما نصت عليه الشريعة من مخصصات الكهنة واللاويين⁽²⁵⁵⁾. وقد اعتاد الاسرائيليون ان يخزنوا في هذه المخازن: التقدمات، والبخور، والانية، وعُشر القمح، والزيوت المخصصة لللاويين، والمرتلين، وحراس ابواب الهيكل، والمخصصات المقدمة الى الكهنة⁽²⁵⁶⁾.

عادة ما تكون السلطات حريصة الى وصول حقوق اللاويين والكهنة اليهم، ولا تسمح بأي تفريط بهذه الحقوق، فحزقيا ملك يهوذا (715-687 قبل الميلاد) طلب من اهل اورشليم ان يعطوا الكهنة واللاويين حصتهم حتى يتفرغوا لشريعة الرب. وما ان ذاع امر الملك حتى قدّم بنو اسرائيل بسخاء من بواكير الحنطة، وأول محصول الكروم، والزيت، والعسل، ومن كل محاصيل الحقل، كما اتوا بعشور انتاجها

⁽²⁵³⁾ عدد، 18: 21-31.

⁽²⁵⁴⁾ نمحيا، 10: 37-38.

⁽²⁵⁵⁾ نمحيا، 12: 44.

⁽²⁵⁶⁾ نمحيا، 13: 5.

بكميات وافرة. فضلا عن ذلك قدم بنو اسرائيل ويهوذا المقيمون في مدن يهوذا عشور البقر، والضأن، وعشور الاقداس المخصصة للرب، وجعلوها اكواما، وقد شرعوا في تكويمها في الشهر الثالث وفرغوا منها في الشهر السابع. ولما جاء حزقيا ورؤساء الشعب، وشاهدوا الاكوام باركوا الرب، وشعب اسرائيل. ولما سأل حزقيا الكهنة واللاويين عن هذه الاكوام اجابه رئيس الكهنة عزريا: "منذ ان اخذ الشعب في التبرع بالتقدمات الى هيكل الرب، اكلنا وشبعنا، وفضلت عنها هذه الكميات الوافرة، لان الرب بارك شعبه، وهذه الوفرة قد فضلت عنا"، فأمر حزقيا بإعداد مخازن في بيت الرب، واودعوا فيها التقدمات والعشور والاقداس⁽²⁵⁷⁾. يتحدث نحميا ان اثناء غيابه عن اورشليم من اجل مقابلة الملك الفارسي ارتحششتا الاول، عرف بعد عودته ان اللاويين لم يتسلموا مخصصاتهم، لذا لجؤوا هم، والمغنون في الهيكل الى العمل في حقولهم، وهو امر مخالف للشريعة، الامر الذي اغضب نحميا، واستفسر من المسؤولين عن السبب: "لماذا تُرك بيت الله بغير رعاية؟"، ثم جمع اللاويين، واعادهم الى مراكزهم، وأدى جميع سكان يهوذا عُشر الحنطة، والخمر، والزيت الى المخازن، ومن اجل ضمان ان يحظى اللاويون بمخصصاتهم الشرعية عين نحميا على امانة شؤون المخازن كل من: شلميا الكاهن، وصادوق الكاتب، وفدايا اللاوي، وحنان بن زكور بن متنيا، وكانت مهمتهم توزيع الانصبه على الكهنة⁽²⁵⁸⁾.

اما الذبائح المقدمة للرب فبشكل عام كان نصيب الكهنة منها ثابتاً: "هذا هو حق الكهنة من الذبائح التي يقربها الشعب، بقرا كانت ام غنما، يقدم الشعب للكهنة الساعد والفكين والكرش..."، وربما كان هذا التخصيص القرباني جاء نتيجة مؤثرات ايرانية، ففي ايران قدمت الى الهاوما القرابين، ويمكننا الافتراض-كما هو الحال في الهند- انه كان يتم احياء قوته بلحم الثور القرباني الذي كان الرب الحكيم

⁽²⁵⁷⁾ اخبار الايام الثاني، 31: 4-12.

⁽²⁵⁸⁾ نحميا، 13: 10-13.

والده خصص له منه الفكين واللسان والعين اليسرى⁽²⁵⁹⁾. كما يتم منح الكاهن نصيبه من اول حصاد: الحنطة، والخمر، والزيت، واول جزاز الغنم: "لان الرب الهكم اختاره من بين جميع اسباطكم ليقوم بالخدمة باسم الرب، هو وابناؤه كل الايام"⁽²⁶⁰⁾. مع ذلك في حالات كان نصيب الكهنة قد يتغير حسب الاضحية المقدمة، فذبيحة الخطيئة كانت تذبح في حضرة الرب، في المكان نفسه التي تذبح فيه المحرقة، وعلى الكاهن الذي يقرها ان يأكلها في موضع مقدس، في دار خيمة الاجتماع. ونظرا لقدسية الاضحية، فإن كل من يمس لحمها يكون مقدسا، واذا تناثر دمها على ثوب، يُغسل ذلك الثوب في موضع مقدس، اما اناء الخزف الذي تُطبخ فيه الذبيحة فيكسر، فإن تُبخت في وعاء من نحاس فإنه يجلى، ويغسل بالماء. ولا يأكل من الذبيحة الا الذكور من اولاد الكهنة، غير ان كل ذبيحة يؤخذ من دمها للتكفير عن الخطيئة في قدس خيمة الاجتماع لا يؤكل منها بل تحرق بالنار⁽²⁶¹⁾. ويبدو ان على الكهنة الالتزام بهذه القاعدة الدينية، لذا نجد ان موسى عندما بحث عن تيس خطيئة اسرائيل وجده قد احترق كله، فغضب على كل من العازار وايتامار ابني هارون وقال لهما: "لماذا لم تأكلا ذبيحة الخطيئة في المكان المقدس؟ فهي مقدسة كل التقديس للرب، وهما الرب لكما لتحملا اثم الجماعة، تكفيرا عنهم امام الرب، ما دام لم يؤخذ(دمها) الى داخل القدس، كان عليكما ان تأكلاها في القدس كما اوصيت"⁽²⁶²⁾. ومن هذا النص المهم نستنج ما يأتي:

1. ان لحم ذبيحة الخطيئة من نصيب الكهنة ليأكلوه في مكان مقدس.
2. ان الهدف من هذا التشريع الديني ان يحمل الكهنة اثم الجماعة كلها عند تناولهم لحم ذبيحة الخطيئة.

⁽²⁵⁹⁾ زهنير، الموسية الزرادشتية، ص 106.

⁽²⁶⁰⁾ ثنية، 18: 3-5.

⁽²⁶¹⁾ لاوين، 6: 24-30.

⁽²⁶²⁾ لاوين، 10: 16-18.

3.يتم تناول لحم ذبيحة الخطيئة في قدس خيمة الاجتماع، طالما لم يؤخذ دم الذبيحة الى هذا المكان، ولكن لو أُخذ دم الذبيحة الى قدس خيمة الاجتماع للتكفير عن الخطيئة لا يجوز اكل الذبيحة بل يتم حرقها بالكامل.

كانت ذبيحة الاثم، بعد ان تذبح، يُرش دمها على جوانب المذبح المحيطة به، ويقرب الكاهن منها كل شحمها، ويحرقها على المذبح، اما اللحم فيتم تناوله من قبل الذكور من الكهنة في مكان مقدس. وشريعة ذبيحة الاثم مماثلة لذبيحة الخطيئة، اذ تكون من نصيب الكاهن الذي يقدمها للرب للتكفير عن الذنوب. فضلا عن ذلك كان الكاهن الذي يقرب محرقة انسان ما يكون جلد المُحرقة المُضحى بها من نصيبه ايضا. وكذلك كل مقدمة دقيق مخبوز في فرن، أو مقلاة، أو على الصاج تكون للكاهن الذي يقدمها للرب، وكل مقدمة دقيق بزيت أو جافة تكون من نصيب الكهنة توزع عليهم بالتساوي⁽²⁶³⁾. اما لحم ذبيحة السلام فيتم تناولها من قبل الشخص الذي قدمها للرب شكرا من اجل سلامته، وهذا الامر ينطبق على الذبيحة التي تقدم قربانا من اجل نذراً أو ذبيحة اختيارية اخرى⁽²⁶⁴⁾، كما كان للكهنة نصيب من ذبيحة السلام، فحسب الشريعة اليهودية ان كل شخص يقدم للرب ذبيحة سلامته عليه ان يحضرها بنفسه، ويقدم للرب كقربان الشحم والصدر، اما الشحم فيوقده الكاهن على المذبح، في حين يتم وضع الصدر امام الرب، ليكون بعد ذلك من نصيب الكهنة، فضلا عن ذلك كانت الساق اليمنى للذبيحة تقدم الى الكاهن الذي يقربها للرب نصيبا له، كما ان كل من يقرب دم قربان ذبيحة السلام والشحم من الكهنة تكون الساق اليمنى نصيبا له ايضا⁽²⁶⁵⁾. ونقرأ انه خلال الاحتفال بعيد الفطير في عهد حزقيا ملك يهوذا (687-715 قبل الميلاد) قام الكهنة بتناول نصيبهم من ذبائح السلام: "وظلوا يأكلون نصيبهم سبعة ايام، ويقربون ذبائح سلام حامدين الرب اله

⁽²⁶³⁾ لاويين.7: 1-10.

⁽²⁶⁴⁾ لاويين،7: 15-18.

⁽²⁶⁵⁾ لاويين،7: 28-36.

ابائهم" (266). وفي حالة قيام شخص بتقديم ذبيحة شكر للرب فيجب عليه تناولها في اليوم ذاته: "متى ذبحتم قربان شكر للرب، فاذبحوه للرضا عنكم، وكلوه في اليوم عينه، ولا تبقوا منه شيئا للغد..." (267). وتشير التقاليد اليهودية الى ان موسى ابلغ هارون وابنيه العازار، وايتامار: "خذوا ما تبقى من تقدمة الدقيق المقربة الى الرب وكلوها فطيرا الى جوار المذبح...كلوها في مكان مقدس لأنها نصيبك ونصيب ابنك من مُحرقات الرب". اما بالنسبة للصدر والساق اليمنى فموسى يخبر هارون: "كلها انت وبنوك وبناتك في مكان طاهر، لأنها نصيبك ونصيب ابنائك من ذبائح سلام شعب اسرائيل" (268). وكان خبز التقدمة من نصيب الكهنة ايضا: "يكون هذا الخبز من نصيب هارون وابنائهم، فيأكلونه في مكان مقدس..." (269).

كان الكاهن المصاب بمرض لا يجوز له تناول شيء من لحم القربان الا بعد ان يتطهر: "اي كاهن من نسل هارون مصاب بالبرص او السيلان، لا يأكل من الذبائح المقدسة حتى يطهر"، كذلك يشمل هذا المنع كل كاهن: "لمس شيئا تنجس بجثة ميت، أو شخصا حدث منه قذف منوي"، وكذلك فإن اي: "كاهن لمس حيوانا أو انسانا غير طاهر لنجاسة فيه، فاللامس يكون نجسا الى المساء، ولا يأكل من الذبائح المقدسة، بل يستحم بماء، ولكن متى غربت الشمس يصبح طاهرا، ثم (من حقه) ان يأكل من الذبائح المقدسة، لأنها طعامه". وهناك تشريعات تخص الذين من حقهم ان يأكلوا من التقدّمات المخصصة للرب، اذ يُحظر على غير اسرة الكاهن ان يأكلوا من الذبائح المقدسة، سواء أ كان ضيف الكاهن، ام اجيره. لكن اذا اشترى الكاهن عبدا بفضة، أو ولد في بيته عبد، فإن ذلك العبد من حقه ان يأكل من طعام الكاهن. واذا تزوجت ابنة الكاهن من رجل غير كاهن، فإنها لا تأكل من التقدّمات

(266) اخبار الايام الثاني، 30: 22.

(267) لاويين، 22: 29-30.

(268) لاويين، 10: 12-14.

(269) لاويين، 24: 9.

المقدسة، ولكن هذه الابنة اذا اصبحت ارملة، أو مطلقة من غير عائل من نسلها، ورجعت الى بيت ابيها، فإنها يحق لها ان تأكل من طعام ابيها، كما لا يحق للغريب ان يأكل من الذبائح المقدسة. واذا اكل احد من الذبائح المقدسة سهواً، ولم يكن من صنف الكهنة فعليه ان يرد للكاهن قيمة ما اكله من الذبيحة، مضافاً اليه خُمسه⁽²⁷⁰⁾. كما يحضر على الكهنة الذين لا يستطيعون اثبات نسبهم الى اسرائيل ان يأكلوا من الطعام المخصص للكهنة، وهذه المسألة ترتبط بشكل رئيس بالاسرائيليين العائدين من السبي، فهناك عدد من الاشخاص الذين عادوا الى اورشليم وكانوا مقيمين في تل ملح، وتل حرشا، وكروب⁽²⁷¹⁾، وادان، وإمير، ممن عجزوا عن اثبات انتماء عائلاتهم الى نسل اسرائيل، وكان فيهم عدد من عائلات الكهنة وهم: بنو حبايا، وهقوص، وبرزلاي، وقد بحث هؤلاء عن اسماء عائلاتهم في سجلات انساب الكهنة، فلم يعثروا عليها، لذا منعوا من الكهنوت، وحرّم عليهم الحاكم الاكل من طعام الكهنة، الى ان يحضر كاهن يقدر ان يستخدم الاوريم، والتّميم⁽²⁷²⁾، ليعلن له الرب صحة نسبهم الى الكهنة⁽²⁷³⁾.

²⁷⁰ لاويين، 22: 10-15.

²⁷¹ ترد منطقة كروب وتل حرشا لدى نحميا كمنطقة واحدة باسم تل حرشا كروب. انظر: نحميا، 7: 61.

²⁷² الاوريم(النور) والتّميم(الحق): هما حجران مسطحان، كانا يحملان في الرداء الذي يلبسه رئيس الكهنة، وكانا يلقيان كالنرد لمعرفة مشيئة الله في الامور المهمة. وكان الله حسب التقاليد اليهودية قد اوصى الاسرائيليين ان يستخدموا هذين الحجرين لغرض محدد هو معرفة مشورته. ونحن نقرأ عن امر الرب بحمل هذين الحجرين بالنسبة للكهنة: "وتضع ايضا في صُدرة القضاء الاوريم، والتّميم، ليحملها هارون على قلبه عندما يمثل امام الرب، وهكذا يحمل هارون على قلبه امام الرب دائما رمز قضاء بني اسرائيل". خروج: 28: 30؛ وصُدرة القضاء نوع من جيب يعلق بالافود(رداء الكهنة) يوضع فيه اشياء مقدسة. وعندما امر الرب موسى ان يعين يشوع قائدا للجماعة من بعده قال له: "ليمثل(أي يشوع) امام العازار الكاهن الذي يتلقى القرارات شأنه بواسطة الاوريم امام الرب". عدد، 27: 21؛ وكان هذان الحجران يستخدمان حتى في اختيار الملوك كما تشير التقاليد اليهودية، اذ اختار الاسرائيليون اول ملك لهم وهو شاؤول بالقرعة المقدسة، والارجح انهم استخدموا الاوريم والتّميم. فباستخدام الاوريم والتّميم، كان الاسرائيليون ينقلون القرار من ايديهم، ويضعونه في يد الله. وكان رئيس الكهنة

هو وحده الذي يستطيع استخدام الاوريم والتُمِيم، اللذين كانا مصممين لإعطاء الاجابة بنعم أو لا. انظر: بارتون واخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص581. 996.
²⁷³ عزرا، 2: 59-63؛ نحميا، 7: 61-65.

السوك الاخلاقي والوضع الاجتماعي والصحي والطهارة للمتعبد

ان المادة المتوفرة حول علاقة وضع مقدم القربان الاجتماعي بتقديمه قليلة جدا، وغير كافية لرسم تصور مناسب حول المسألة. ففي الديانة اليهودية كان اي شخص غير مختون ليس من حقه ان يقدم قربانا للرب: "اذا نزل بكم دخيل واراد ان يقدم ذبيحة الفصح، فليختن كل ذكر من اهل بيته قبل ان يقدمها، فيصير كأصيل في ارضكم"⁽²⁷⁴⁾. حتى الكهنة لا يجوز لبعضهم ان يقدموا الذبائح للرب ان كانوا مصابين بعاهة ما: "لا يقرب رجل من نسلك (اي هارون) فيه عاهة ذبائح لإلهة... فكل رجل مصاب بعاهة لا يتقدم سواء كان اعمى، ام اعرج، ام مشوه الوجه، ام فيه عضوزائد، ولا مكسور اليد أو الرجل، ولا احذب، ولا قزم، أم من في عينيه بياض، ولا الاجرب، ولا الاكلف، ولا مرضوض الخصية. يُحظر على كل رجل فيه عاهة من نسل هارون ان يتقدم ويقرب ذبائح الرب، ولكنه يأكل من ذبائح الهه، المقدمة في قدس الاقداس، والقدس. غير انه لا يدخل الى ما وراء الحجاب، ولا يقترب من المذبح، لان فيه عيبا، لئلا يدنس مقدسي..."⁽²⁷⁵⁾. ان هذا النص مهم جدا لأنه يحدد بشكل قاطع ان المصابين بالعاهاات والامراض من الكهنة لا يحق لهم ان يقدموا قرباناً للرب، وبالتالي كان وضعهم الصحي وراء ذلك المنع⁽²⁷⁶⁾؛ وعند طائفة البحر الميت نشاهد الصورة ذاتها⁽²⁷⁷⁾ فنحن نقرأ: "[لا يجوز لرجل] مجنون أو معتوه

²⁷⁴ خروج، 12: 48.

²⁷⁵ لاويين، 21: 16-23.

²⁷⁶ يظهر هذا المعتقد ايضا في وثائق البحر الميت التي رجحت سابقا ان تكون متأثرة بالديانة الزرادشتية. انظر: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص 131-132.

²⁷⁷ تم دراسة هذه الحالة في وثائق البحر الميت من قبل: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص 131-

أو ساذج...ولا للأعمى ولا للمشوه ولا الأعرج، ولا الأصم.. ان يدخل الطائفة"⁽²⁷⁸⁾. أو نقرأ في نص آخر: "لا يجوز لأي رجل وصم بأي نوع من القذارة البشرية ان يدخل جماعة المصلين، ولا يثبت احد موصوم في منصبه في جماعة المصلين، ولا احد فيه عيب في لحمه أو به شلل في قدميه، أو في يديه أو شخص أعرج، أو أعمى، أو أبكم، أو به عيب جسماني، ولا أي رجل متداع غير قادر على الجلوس هادئاً بين جماعة المصلين، فلا يجوز لأي من هؤلاء تقلد أي وظيفة أو منصب بين رجال الطائفة ذوي السمعة الحسنة لان ملائكة القداسة من [جماعتهم]، وإذا كان لأي واحد منهم ما يقوله للمجلس المقدس فعليه ان يناقش ذلك لوحده، ولا يجوز ان يدخل مع الجماعة، لأنه موصوم وفيه عيب"⁽²⁷⁹⁾. وفي قانون الحرب القمрани نقرأ: "لا يسمح لأي رجل أعرج، أو أعمى، أو كسيع أو مصاب بعاهة جسمانية دائمة أو بأي آفة ان يذهب مع جيش الحرب"⁽²⁸⁰⁾. ان هذا النص لم يمنع هؤلاء المرضى من مصاحبة الجيش لأنهم لا ينفعون في الحرب، بل لئلا يطال الجيش الدنس إذا ما رافقهم هؤلاء. ولم يكن أولئك من أصحاب المرض والعاهات محرومين من حقوقهم الاجتماعية فحسب، بل حرموا حتى من دخول الهيكل: "لا يجوز لأي رجل أعمى ان يدخل إليها (أي مكان من مدينة المعبد) في جميع أيامه، حتى لا يدنس المدينة التي اقطن فيها (الرب)"⁽²⁸¹⁾. ولدينا رواية استثنائية الى حد كبير تعطينا اضاءة حول المسألة، اذ نقرأ كيف ان احد اليهود ويدعى يواقيم كان يريد ان يقدم قربانا للرب في وقت عيد التكريس، لذا ذهب الى اورشليم مع بعض رجال عشيرته، من ضمن الذين يقدمون محرقات للرب، ورغم انه كان واقفا مستعدا بعطاياه على مرأى من الرب،

⁽²⁷⁸⁾ غيزا فيرم، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت (ترجمة)، ترجمة: سهيل زكار، (دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006)، ص 241-242.

⁽²⁷⁹⁾ المصدر نفسه، ص 259-260.

⁽²⁸⁰⁾ المصدر نفسه، ص 272-273.

⁽²⁸¹⁾ المصدر نفسه، ص 318.

الا انه في الوقت نفسه لم يكن له حق في ان يقدم قربانه في البداية، اذ عليه ان ينتظر الاخرين يقدمون قربانهم ومن ثم يقدم قربانه هو! بل ربما ليس له حق من تقديم قربانه تماما! لان الله لا يقبل قربانه! ولكن لماذا؟ هل الله لا يحب ان يقدم له القربان من التقاة؟ يبدو ان للأمر علاقة بوضعه الاجتماعي اكثر من كونه له علاقة بتقواه! من الناحية الاجتماعية كان يواقيم ثريا وتقيا، الا انه لم ينجب اولاد، لذا ارجئ أو منع من تقديم القربان!، فالكاهن راوبين منعه قائلا: "غير مسموح لك ان تقدم تقدماتك اولاً، لكونك لم تنجب ذرية في اسرائيل"⁽²⁸²⁾، أو في رواية ثانية لنفس النص: "لا يحل لك ان تقف ضمن هؤلاء الذين يقدمون ذبائح لله، لان الله لم يباركك لتعطي نسلا في اسرائيل"⁽²⁸³⁾. وفي رواية ثالثة تعطي وقعاً أكثر وضوحاً، تقول ان رئيس الكهنة، وهنا يدعى يساكر وليس راوبين، حينما رأى يواقيم وسط المواطنين الاخرين يريد ان يقدم قربانه، احتقره وازدرى عطاياه! ثم وجه اليه سؤالاً: "لماذا هو، الذي ليس لديه ذرية تجاسر على الوقوف وسط هؤلاء الذين لديهم، قائلاً ان تلك العطايا لا يمكن بأي وسيلة ان تكون مقبولة لله". ولكن لماذا هذا التصريح؟، ولماذا عدت قربانين يواقيم غير مقبولة؟، الحقيقة لم يكن يساكر مخطئاً، بل كان يواقيم ملعوناً! فقد كان يساكر يستند الى قاعدة دينية لدى اليهود تقول: "ملعون كل واحد لم ينجب ذكراً أو انثى في اسرائيل". لذا فان يساكر يقدم حلاً تعجيزياً الى يواقيم لكي يتسنى له ان يقدم قربانه: "انه يجب عليه اولاً ان يتحرر من لعنته بأنجاب اطفال، وحينئذ فقط، يأتي في محضر الرب بتقدماته"⁽²⁸⁴⁾.

لكن الى اي حد يمكن ان نثق بأن هذا المعتقد اصيل لدى الاسرائيليين؟ بلا شك ان هذا الاعتقاد اي منع اصحاب العاهات والامراض من تقديم القربان دخيل

⁽²⁸²⁾ انجيل البداية ليعقوب، 1: 2.

⁽²⁸³⁾ انجيل متى المزيف، 2: 1.

⁽²⁸⁴⁾ انجيل ميلاد مريم، 1: 2-4.

على العهد القديم، ونحن نعرف جيداً ان هذا المعتقد اصيل في الديانة الزرادشتية، وانه تسرب منها الى الديانة اليهودية، وبالتالي من حقنا ان نفترض ان هذا النص دون خلال العصر الاخميني اي ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد الى القرن الرابع قبل الميلاد او بعده، بعد ان تأثر الكتبة اليهود بالديانة الزرادشتية. فبالنسبة للزرادشتيين، فإنهم يختلفون عن كل الحضارات القديمة في محاولة تفسير المرض، ففي الوقت الذي نقرأ في الكثير من الحضارات الكبرى أسباباً مختلفة للمرض وان الآلهة والشياطين يعملان سوية في إنزال المرض وهو في اغلب الأحيان عقاب للبشر على عصيانهم كما نقرأ عند العراقيين القدماء أو العبريين أو الإغريق، فإن الديانة الزرادشتية تنفرد بخصيصة مهمة ان الآلهة لا توقع مرضها إلا بالأشرار المعادين للزرادشتيين، هذا من جهة، وان المرض هو نتاج مباشر لقوى الشر، وبالتالي فان المريض بلا شك هو من أتباع هذه القوى، لذا نظر إلى المرضا بالعاهات على إنهم مدنسون من أتباع قوى الشر لذا فهم منبوذون، وربما كان النظر إلى المرض لاسيما المصابين بالعاهات تمثل تراثاً هندياً-أوروبياً أصيلاً ولذا نقرأ عنه في الهند كما سنقرأ ادناه، وان ارتباط مفهوم المرض بروح الشر جعل الزرادشتيين ينظرون إلى ذوي العاهات بأنهم مرتبطون بروح الشر انكرامايينو، لذا عدوا منبوذين اجتماعياً⁽²⁸⁵⁾، فعندما يأمر اهورامزدا ييما ببناء فار (Var) فانه يمنعه من ان يأخذ معه المخلوقات المريضة المرتبطة ب انكرامايينو: "[لا تجلب إليه (أي فار)] [مخلوقات] محدبة من الأمام ومحدبة من الخلف، المشوهة تلك التي تحمل الشامات المريضة، المنحرفة ذات الأسنان المسوسة، الجزماء، الأجساد المرمية، ولا التي تحمل عيوب أخرى تخدم

⁽²⁸⁵⁾ يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص 127-128

سمات انگراماينيو والمطبوعة على الموت⁽²⁸⁶⁾. وكان الزرادشتيون يحرمون العديد من الناس من تقديم القرابين، بسبب وضعهم الاجتماعي، فالربة اناهيئا تخبر زرادشت عن العديد من اصناف الناس ليس من حقهم ان يقدموا لها قرباناً، ببساطة لانهم مرضا!!!: "... ولن اقبل القرابين من [يد] العميان، والطرشان، الاقزام، المعتوهين، و[...] واصحاب النوبات(المصروعين)، الموشومين، المبحوحين، والمجانين. يجب على هؤلاء الا يقدموا لي القرابين: لا المحذب من الامام، ولا المحذب من الخلف، ولا الاقزام الذين لهم اسنان ملتوية"⁽²⁸⁷⁾. ان تساؤلاً يطرح على بال كل من يقرأ هذا النص ما ذنب هؤلاء ان كانوا مرضا؟ ان الاجابة للوهلة الاولى ستوضح الى حد كبير مدى قسوة تلك الالهة الزرادشتية التي تحرم انساناً لا ذنب لهم سوى انهم ولدوا ولديهم عاهات!!، ولكن لو عشنا نحن مع الزادشتيين لنظرنا الى هؤلاء النظرة ذاتها التي تنظرها اليهم اناهيئا، لانهم ببساطة اتباع قوى الشر لندا هم مصابون بعاهات، لان ذلك يتضح جلياً في سؤال طرحه زرادشت على هذه الربة: "سأل زرادشت اردفيسورا اناهيئا: يا اردفيسورا اناهيئا!، ماذا سيحصل لقربانك لو قدمه عبدة الابلالسة، وخادمو الدروج، بعد غياب الشمس؟". ان الاجابة المتوقعة من قبل القارئ على لسان اردفيسورا اناهيئا ستكون بلا شك وصفاً لقوى الشر التي تقدم قربانها واتباعهم سواء كانوا سحرة، ام حكام طغاة كما هو متوقع دوماً من النصوص الزرادشتية، ولكن كانت اجابة اناهيئا تتحدث عن اولئك المرضا المساكين الذين عدوا من اتباع الكذب(دروج): "اجابته اردفيسورا اناهيئا: في الحقيقة يا زرادشت

²⁸⁶ فينديداد، 2: 29.

²⁸⁷ ياشت، 5: 93.

سييتاما المؤمن بـ ارتنا⁽²⁸⁸⁾ ، هم مقرفون، مغطون بالجرب، محفورون، [مريضون] بالقرحة، وشنيعون الف وستمائة مرة، اذا لمسوا القربان من وراء ظهري [...]، وهم يخدمون فقط تمجيد الابالسة⁽²⁸⁹⁾. انهم ببساطة اصحاب عاهات وامراض، صاحبها مسكون بالشياطين والابالسة، لذا هم من اتباع الشر. واعتقد رغم هذا التبرير الديني الرائع الا ان ذلك يمثل اقصى درجات الحرمان الاجتماعي، انهم منبوذون من غير سبب مقنع!! لم يكن المرضا حسب هم من حُرّم عليه تقديم القربان بل فئات اخرى نقرأ عنهم في معرض الحديث عن تقديم القرابين الى فترانگنا: "فليمتنع السافل عن تقديم القرابين له، والعاهرة، والقاتل، والمؤمن الذي لا نشد الكّات، وعدوا هذا الدين، دين اهورا، وزرادشت". لان هؤلاء ان تجرؤوا وقدموا قربانا الى فترانگنا فستحل الكوارث ببلاد الاريين، اذ ستغزوهم جيوش الاعداء وستتمكن من قتل اعداد كبيرة منهم⁽²⁹⁰⁾ ، لانهم بذلك سيفقدون حماية الاله فترانگنا. ولم يتوقف الامر عند هؤلاء، فالربة اشبي(Ashi) لا تقبل القرابين التي يقدمها الرجال المرضا، والعقيمون، والنساء العقيمت، كما هو الحال مع الربة اناهيئا التي رفضت قرابين المرضا، غير ان الربة اشبي لا يتوقف عندها رفض قربان هؤلاء حسب، بل انها ترفض

²⁸⁸ ان مصطلح رتا(Rta)(المقابل الهندي لارتا الافستي) يدل على النظام للعالم، ورغم انه لا يوجد نشيد واحد في كتب الفيدا موجه الى رتا لكن هذا المصطلح يرد اكثر من 300 مرة في الريغ-فيدا، اذ يشار الى ان الخليقة صنعت بالتوافق مع رتا، وان الالهة تعمل حسب الرتا، وان الرتا يدير بشكل حسن الايقاعات الكونية، وكذلك السلوك الاخلاقي، وهو ذات المبدأ الذي يحكم العبادة، وان مقر الرتا هو في اعلى سماء أو في مذبح النار. ويقال ان فارونا رقي في بيت رتا، وهو يعلن انه يحب الرتا، ويشهد من اجل الرتا، وانه يدعى ملك الرتا. وفي ايران كان العالم كله يحكمه اهورامزدا من خلال ارتا/اشا اي من خلال: النظام، الحقيقة، الصدق، العدالة. انظر: اسامة عدنان يحيى، الديانة الزرادشتية: ملاحظات واره، (بغداد: اشوربانيبال للكتاب، 2016)، ص.83.

²⁸⁹ ياشت، 5: 94-95.

²⁹⁰ ياشت، 14: 51-52.

القرايين التي يقدمها الفتية غير الناضجين، وتلك التي تقدمها الفتاة الشابة غير المتزوجة (حرفياً: التي لم تعرف رجلاً بعد)⁽²⁹¹⁾. وتعلل اسطورة قديمة، لا نعرف حالياً الكثير عنها، السبب وراء هذا المنع، اذ نقرأ وعلى لسان الربة اشبي: "عندما طردني الطورانيون من نوتاريا(Naotaras)(?)، ذوو الاحصنة السريعة، اختبأت تحت حوافر الثور العظيم. عندئذ اكتشفني المراهقون غير الناضجين، والفتيات العذراوات، اللواتي لم يعرفن الرجال بعد، فطردني مرة اخرى الطورانيون من نوتاريا، ذوو الاحصنة السريعة. فاخبتأت تحت رقبة الغنمة، التي تستطيع ان تخبئ الف شاة، فاكتشفني مرة اخرى المراهقون غير الناضجين، والفتيات العذراوات اللواتي لم يعرفن الرجال بعد، فطردني مرة اخرى الطورانيون من نوتاريا، ذوو الاحصنة السريعة"⁽²⁹²⁾. انها اسطورة قديمة يقوم فيها الطورانيون المعادون للأريين بمهاجمة نوتاريا التي لانعرف شيئاً عنها الآن، وبلا شك كانت اشبي ربة نوتاريا فطردها الطورانيون مرتين، وفي كلتا المرتين تختبئ اشبي فيكتشفها المراهقون الشباب، والفتيات غير المتزوجات، وبلا شك لا يمكن ان نتصور انهم تعمدوا ذلك بقدر ما كان عدم نضحهم سبباً في ذلك، لذا تحرم الربة اشبي عليهم ان يقدموا قرايينهم اليها نظراً لحماقتهم!!! في الهند نقرأ عن نظرة مشابهة لما وجدناه في إيران من نظرة للمرض والمرضا⁽²⁹³⁾، ففي قانون مانو العائد للقرن السادس قبل الميلاد⁽²⁹⁴⁾، نقرأ ان الرجل عليه ان يمتنع عن الزواج من اسرمعينة منها تلك الأسر المصابة بداء البواسير، أو

⁽²⁹¹⁾ ياشت، 17: 54.

⁽²⁹²⁾ ياشت، 17: 55-56.

⁽²⁹³⁾ تم حديثاً دراسة هذه الحالة في الهند من قبل: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص 129-131.

⁽²⁹⁴⁾ انظر النص الكامل لقانون مانو في: احسان حقي، مانوسمرتي: كتاب الهندوس المقدس، (بيروت: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بلا. ت).

المصابة بداء السل، أو المصابة بسوء الهضم، أو المصابة بداء الصداع، أو المصابة بالجذام الأبيض، أو المصابة بالجذام الأسود. وعليه أي الرجل ان يبتعد عن الزواج من المرأة: "زائدة الأعضاء، والمريضة"⁽²⁹⁵⁾. وإذا كانت بعض الأمراض معدية وقد لاحظ الهنود القدماء ذلك كما في مرض السل فان بعض الأمراض لم تكن في كل الأحوال معدية، لذا فان هناك تحريم يرتبط بمفهوم المرض ذاته ليس إلا. ويبدو ان هناك دلائل أكثر تشير إلى موقف الهنود القدماء من المرض فمن الأشخاص الذي لا يقدم إليهم طعام شرداه (Shradeh) وهي إحدى التقدّمات الشهرية للأجداد: "من كان مصابا بأمراض جلدية"⁽²⁹⁶⁾، أو: "من كان مصابا بداء السل"⁽²⁹⁷⁾، أو: "من كان مصابا بداء الصرع، أو بداء الخنازير(?)، أو الجذام"⁽²⁹⁸⁾. ونقرأ أيضا عن التقدّمات المقدمة للأجداد والآلهة: "ان حضور الأعمى، على طعام التقدمة، يخسر صاحب الدعوة ثواب تسعة عشر ضيفا"⁽²⁹⁹⁾، وحضور المجذوم: "يخسر مئة ضيف"⁽³⁰⁰⁾. وهناك نص يحدد بشكل واضح من يجب ان يبتعد عند تقديم تقدمة شرداه: "يجب ان يبتعد عن المكان الذي تقام فيه عبادة شرداه: الأصلع، والأعور، وناقص الأعضاء، وزائدها، حتى ولو كان خادم الداعي"⁽³⁰¹⁾. وهناك نص يوضح كيف ان على البراهمان وهو أعلى سلطة دينية في الديانة الهندوسية ألا يأكل الطعام المقدم من عدة أشخاص مثل

²⁹⁵ مانوسمрти، 3: 6-8.

²⁹⁶ مانوسمрти، 3: 151.

²⁹⁷ مانوسمрти، 3: 154.

²⁹⁸ مانوسمрти، 3: 161.

²⁹⁹ كان الشخص الذي يقدم التقدمة يستحصل ثواب ضيوفه لأنه دعاهم إلى تقدمة مقدمة للأجداد أو الآلهة.

³⁰⁰ مانوسمрти، 3: 177.

³⁰¹ مانوسمрти، 3: 242.

السكران والغضبان أو المريض⁽³⁰²⁾. وان على الملك في الهند بموجب القانون الهندي ان يقصي عن حضرته حين يطلب المشورة عدة أصناف من الناس منهم الخرس والعمي، والصم، والمرضا، وناقصو الأعضاء⁽³⁰³⁾. وبلا شك ان إبعاد هؤلاء وقت طلب المشورة ليس لعدم صلاحيتهم على منحها بل لان وجودهم يمثل أمراً محرماً يجب على الملك عدم ارتكابه. بل ان القانون الهندي يرى ان على القاضي إلا يأخذ بشهادة الطفل والشيوخ والمريض في القضايا، وعد شهادتهم مثل شهادة المختلين عقلياً، والسبب في ذلك كما يفسره القانون بان هؤلاء عادة: "لا يتكلمون الصدق"⁽³⁰⁴⁾. ويبدو ان بعض المرضا بأمراض معينة لا ينظر إليهم بنظرة سلبية فحسب بل يحرمون حتى من حقوقهم الاجتماعية فممن يحرمون من الإرث كان من ولد أعمى واصم ومجنوناً والأخرس والمصاب بنقص في أعضائه⁽³⁰⁵⁾. في إيران كان المرض كما رأينا من نتاج عمل روح الشر وبالتالي فان المرضا بلا شك كانوا من أتباع هذه الروح، ولكن هنا في الهند لا نقرأ عن وجود ثنائية بهذا الشكل فان هناك بلا شك أسباباً كامنة وراء تلك النظرة للمرضا، وتهميشهم اجتماعياً ودينياً. من غيرريب كان لقانوني الكارما والسامسارا الأثر الكبير في هذه النظرة للمرض والمرضا، فالمرض في الهند ليس بالضرورة نتاج خطيئة أنية بل في كثير من الحالات كان من نتاج خطيئة قد ارتكبت في حياة سابقة لذا كان هؤلاء المرضا بنظر المجتمع مذنبين بحق الآلهة والشرائع الهندية لذا يستوجب عدم التسامح معهم في كل الأحوال وهناك نص يوضح بجلاء

³⁰² مانوسمрти، 4: 207.

³⁰³ مانوسمрти، 7: 149.

³⁰⁴ مانوسمрти، 8: 71.

³⁰⁵ مانوسمрти، 9: 202.

هذه الحقيقة يقول: "ان من يولد سفهما أو اخرس أو أعمى أو أصم أو مصابا بأعضائه أو بغير ذلك من العاهات والأمراض إنما يكون ذلك نتيجة سوء عمله السابق، لذلك يجب التكفير دوما عن الذنوب بغية الطهارة لان من لا يكفر عن ذنبه يولد ثانية موسوما بعلامات غير مرضية"⁽³⁰⁶⁾. بلا شك كانت الحرية الفردية في ظل الديانتين الزرادشتية والهندوسية سببا مباشرا في مصير الإنسان وإحدى مسببات المرض، ففي إيران كان الإنسان مخيرا بكامل إرادته بان ينظم إلى قوى الشر أو إلى قوى الخير، بمعنى أدق كان حرا في يكون من أنصار روح الخير اهورامزدا، أو من أتباع روح الشر انگراماينو، وبالتالي فان اختياره سيتوقف عليه مصيره، وفي الهند كانت أفعاله (الكارما) هي التي تحدد مستقبله إلى الأسوأ أو إلى الأفضل لذا فهو مسؤول عما يصيبه من مرض في حياته اللاحقة⁽³⁰⁷⁾، لكن هنا في الديانة اليهودية لا يمكن ان نجد المبررات لوجود هذه الحالة لذا لا يمكننا الا الافتراض انها تسربت الى هذه الديانة عن طريق الزرادشتية.

ليس فقط الوضع الصحي والاجتماعي في الديانة اليهودية يتحكم بالمتعبد بل حتى السلوك الاخلاقي، اذ تقدم الديانة اليهودية تصورات جيدة تكاد تكون فريدة عن السلوك الواجب اتخاذه من قبل مقدم القربان لكي يرضا الله عن قربانه، ف يشوع بن سيراخ يوصي ابنه بالآتي:

"كن بشوش الوجه في كل عطية
وكرس للرب عشر غلالك بفرح
اعط العلي على حسب ما اعطاك

³⁰⁶ مانوسمрти، 11: 53-54.

³⁰⁷ يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص131.

ولتكن عطيتك بعين سخية"⁽³⁰⁸⁾.

ان هذا النص المهم يوضح بشكل جيد لماذا على الله ان يقبل قربان احدهم ويرفض قربان اخر، ويجبنا عن التساؤل المهم، لماذا الله قبل قربان هابيل، ورفض قربان قايين كما سنقرأ المسألة لاحقاً؟. انه السلوك الاخلاقي الذي يجب ان يتسم به مقدم القربان.

كان تقديم القربان يتطلب تحقيق الطهارة، بمعنى ان من يقوم بتقديم القربان عليه ان يغتسل، ونقرأ في احد الاسفار المخفية، ان ادم قبل ان يقدم قربانا اخذ زوجته وذهبا الى النهر والقوا انفسهم فيه اولاً، وهناك غسلوا جسديهما ليكونا نظيفين⁽³⁰⁹⁾. ويتحدث العهد القديم عن وجود حوض نحاسي للاغتسال، ذي قاعدة نحاسية، موضوع بين خيمة الاجتماع والمذبح، ومملوء بالماء، وظيفته ان يغسل هارون وبنوه ايديهم وارجلهم فيه عند دخولهم خيمة الاجتماع، أو عند اقترابهم من المذبح للقيام بخدمة تقديم المحرقات للرب⁽³¹⁰⁾. وعندما قام النبي صموئيل بتقديم ذبيحة للرب في بيت لحم بأمر الرب، اخبر شيوخ المدينة بضرورة التطهر قبل تقديمها: "حضرت لأقرب للرب، طهروا انفسكم، وتعالوا معي الى الذبيحة"⁽³¹¹⁾. واحد المتعبدين يقول في صلاة: "اغسل يدي عربون براءتي وانضم الى المجتمعين حول مذبحك يا رب"⁽³¹²⁾. ويكشف نص مسيحي عن قواعد الاغتسال التي يتطلبها الوقوف عند المذبح، والنص يشير الى دخول المسيح يوماً وتلاميذه الى الهيكل من غير ان يغتسلوا مما اغضب كاهن فريسي يدعى ليفي الذي قال للمسيح: "من سمح لك ان تمشي في مكان التطهير هذا، وان تستعرض وتشاهد الانية المقدسة (وهي اواني المذبح)

³⁰⁸ يشوع بن سيراخ، 35: 11-12.

³⁰⁹ السفر الاول لادم وحواء، 8: 75.

³¹⁰ خروج، 30: 17-21.

³¹¹ صموئيل الاول، 16: 5.

³¹² مزامير، 26: 6.

مع انك لم تغتسل، ولم يغسل تلاميذك اقدامهم؟ ثم كيف مشيت في هذا الهيكل، وانت في وضع المدنس، حيث ما من احد دخل الى، أو تجرأ على مشاهدة هذه الاوعية المقدسة دون ان يغتسل ويغير ثيابه؟"، وبناء على تساؤلات ليفي وقف المسيح مع تلاميذه، واجابه قائلاً: "هل انت نظيف، حسبما انت عليه هنا في الهيكل؟"، فأجابه ليفي: "نعم انا نظيف، لأنني اغتسلت في بركة داود، وقد نزلت اليها من على درج اول، وصعدت من على درج اخر، وارتديت ثيابا بيضاء نظيفة، ثم اتيت واستعرضت مشاهد الاوعية المقدسة"⁽³¹³⁾. وهذا النص يكشف ان الكاهن اليهودي اذا اراد الوصول الى الانية المقدسة عليه ان ينزل من درج الى بركة داود للاغتسال، ومن ثم يصعد من درج ثان، بعد ذلك عليه ان يرتدي ثيابا بيضاء والتوجه الى المذبح.

³¹³ بردية اوكسرنخوس: 840.

طرق وشروط تقديم القران

تقديم الديانة اليهودية تفاصيل جيدة حول الشروط الواجب توفرها عند تقديم القرابين، وطرق تقديمه، وهي تختلف حسب الغرض من الاضحية، وهي على انواع:

1. القرابين المقدمة للتكفير عن الخطايا: وتضم ثلاثة انواع من الذبائح

• ذبيحة المُحرقة:

تقدم هذه الذبيحة للتكفير عن الخطايا بوجه عام، والاضاحي الحيوانية المقدمة تختلف حسب نوع الحيوان المضحى به؛ فإذا كانت القران المقدم مُحرقة للرب من البقر، فعلى الشخص الذي يقدمه ان يختار ثورا سليما، يحضره عند مدخل خيمة الاجتماع، ويقدمه امام الرب طالبا رضاه عنه، وعليه (اي الشخص مقدم القران) ان يضع يده على رأس الاضحية، عندها يرضا الرب بموت الثور بديلا عن صاحبه، للتكفير عن خطاياها. ثم يذبح كاهن العجل امام الرب، ويأخذ الكهنة الدم ويرشونه على جوانب المذبح القائم عند مدخل خيمة الاجتماع. ثم يقوم المضحى بسلخ الاضحية ويقطعها الى اجزاء، ويوقد الكهنة نارا على المذبح، ويرتبون عليه حطبا، ثم يرتبون فوق حطب نار المذبح: اجزاء الثور، ورأسه، وشحمه. اما اعضاؤه الداخلية، واكارعه فيغسلها المضحى بالماء، ثم يحرقها الكاهن جميعا على المذبح، فتكون بذلك محرقة رضا تسر الرب⁽³¹⁴⁾. اما اذا كانت المُحرقة من الماشية اي: الضأن أو الماعز، فيجب على المضحى ان يقدم ذكرا سليما، يذبحه الكاهن في حضرة الرب، عند الجانب الشمالي للمذبح، ثم يقوم الكهنة برش دمه على جوانب المذبح، ويقطعه المضحى الى اجزاء مع رأسه وشحمه، ويضعها الكهنة على حطب نار المذبح، اما الأعضاء الداخلية والاكراع فيغسلها المضحى بالماء، ثم يحرقها الكاهن جميعها لتكون

³¹⁴ (لاويين، 1: 3-9).

مُحرقة رضا تسر الرب⁽³¹⁵⁾. اما اذا كان القربان المقدم مُحرقه من الطيور فيجب ان يكون من اليمام، أو من افراخ الحمام، فيقدم الكاهن القربان الى المذبح، ويحز رأسه، ويصفي دمه على حائط المذبح بعد ايقاد النار على المذبح، وينزع حوصلته مع نثراتها، ويطرحهما الى جانب المذبح الشرقي، حيث يُجمع الرماد، ويشق الكاهن الطائر من بين جناحيه، من غير ان يفصله الى قطعتين، ويحرقه على المذبح ليكون مُحرقه رضا تسر الرب⁽³¹⁶⁾. وبصرف النظر عن نوع الحيوان المضحي به سواء كان ثور، أو الضأن، أو الماعز، أو الطيور، فإن طريقة حرقه واحدة، وتتم بالشكل الاتي: تترك المُحرقة (اي الاضحية المقدمة للحرق) على الموقد فوق المذبح كل الليل حتى الصباح، ونار المذبح تتوهج عليه. ثم يرتدي الكاهن ثوبه، وسراويله الكتانية، وينظف المذبح من رماد المُحرقة، ويضعه الى جانب المذبح. ثم يستبدل ملابسه بملابس اخرى، ويحمل هذا الرماد الى خارج المخيم الى مكان طاهر، وتظل النار في غضون ذلك تتوهج على المذبح لا تُطفأ، لكي يشعل الكاهن بها حطبا كل صباح، ويرتب عليها المُحرقة، ويوقد عليها شحم ذبيحة السلام اليومية لتبق النار دائما متقدة على المذبح، ولا تنطفئ ابدا⁽³¹⁷⁾.

يمكن ان نلاحظ بعض القضايا المهمة في حول هذا القربان اليهودي وهي:

1. كانت الذبائح حسب التقاليد اليهودية هي طريق الله ليطلب الشعب منه المغفرة عن خطاياهم.

2. كانت الذبيحة الحيوانية تحقق هدفين هما:

- اخذ الحيوان رمزيا مكان الخاطئ، وتحمل عقابه عن الخطيئة.

- كان موت الحيوان يمثل بذل حياة لكي تنجو حياة اخرى.

³¹⁵ لاويين، 1: 10-13.

³¹⁶ لاويين، 1: 14-17.

³¹⁷ لاويين، 6: 8-13.

3. كانت اول تقديمه رسمها الله حسب التقاليد اليهودية هي المحرقة، اذ كان الشخص الخاطئ يأتي بحيوان بلا عيب ويقدمه للكاهن، وكان هذا الحيوان يرمز الى الكمال (طالما كونه بلا عيب)، وكان مقدم الذبيحة يضع يده على رأس الذبيحة بينما كان الكاهن يقوم بذبحها، وكان هذا رمزا الى التوحد الكلي مع الذبيحة كبديل عنه، فعن طريق لمس رأس الذبيحة من قبل المضحى كان ينقل حزنه على خطاياها الى الذبيحة، وهكذا تُرفع عنه خطاياها.

4. كانت الذبيحة تحرق بتمامها على المذبح باستثناء الدم والجلد، وهذا يرمز لتكريس الشخص نفسه بالتمام لله.

5. يعتقد اليهود ان الله كان عند تقديم القران يطلب اكثر من مفهوم الذبيحة، اذ كان يريد من الخاطئ ان يأخذ موقف التوبة، فالرمز الخارجي (الذبيحة)، والتغيير الداخلي (التوبة) كانا يعملان معا، غير انه لا الذبيحة ولا التوبة كانتا ترفعان الخطيئة، لان الله وحده هو الذي يغفر الخطيئة⁽³¹⁸⁾.

6. كان يجب ان تظل النار المقدسة مشتعلة على المذبح، لان الله هو الذي اوقدها، وكان هذا يمثل حضور الله الابدي في نظام الذبائح⁽³¹⁹⁾.

2. ذبيحة الخطيئة:

تقدم هذه الذبيحة من اجل التكفير عن الخطايا غير المتعمدة الناجمة عن الاهمال، وكانت ذبيحة الخطيئة تقدم عن:

1. الذين ارتكبوا خطيئة دون ان يدركوا ذلك.

2. الذين ارتكبوا خطيئة نتيجة ضعف أو اهمال⁽³²⁰⁾.

ويختلف هذا القران حسب الشخص الذي اقترف الخطأ، وبالتالي يمكن ان نقسمه الى اربعة انواع:

³¹⁸ (بارتون وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 217-218).

³¹⁹ (المصدر نفسه، ص 225).

³²⁰ (المصدر نفسه، ص 222).

• القربان المقدم بسبب خطيئة الكاهن:

إذا اخطأ كاهن ممسوح سهواً، وجلب على الشعب اثماً، فعليه ان يقدم للرب عن خطيئته التي ارتكبها ثورا لا عيب فيه، كذبيحة خطيئة. وثور الذبيحة يقدم وفق طريقة خاصة: اذ يُحضر الثور الى مدخل خيمة الاجتماع في حضرة الرب، ويضع المُضحي يده على رأسه، ويذبحه امام الرب. ويأخذ الكاهن الممسوح من دم الثور، ويدخل به الى خيمة الاجتماع، ثم يغمس اصبعه في الدم، ويرش منه سبع مرات امام الرب عند حجاب القدس، وهو الستارة الفاصلة بين القدس وقدس الاقداس. ثم يضع الكاهن بعض الدم على قرون مذبح البخور الذي في داخل القدس في حضرة الرب. اما بقية دم الثور فيصبه عند قاعدة مذبح المُحرقة، القائم عند مدخل خيمة الاجتماع. بعد ذلك ينزع جميع شحم ثور الخطيئة، وشحم الاعضاء الداخلية كلها، والكليتان وشحمهما الذي على الخاصرة والمرارة، على غرار ما يفعله بثور ذبيحة السلام (كما سنرى لاحقا)، ويحرقها الكاهن على مذبح المُحرقة. اما جلد الثور، وكل لحمه مع رأسه واكارعه وامعائه وفرثه، فيحملها الى خارج المخيم الى مكان طاهر، حيث يطرح الرماد، ويحرقها كلها على حطب مشتعل فوق مكان القاء الرماد⁽³²¹⁾.

• القربان المقدم بسبب خطيئة الشعب:

إذا اخطأ شعب اسرائيل كله سهواً، واقترب اثماً غير متعمد، واكتشف المجمع تلك الخطيئة المرتكبة، عندئذ يُقدم المجمع ثورا كذبيحة خطيئة، يحضره امام الرب عند خيمة الاجتماع، ويضع شيوخ الشعب ايديهم على رأس الثور في حضرة الرب، ويذبحونه هناك، ويأخذ الكاهن الممسوح من دم الثور ويدخل به الى خيمة الاجتماع، ثم يُغمس اصبعه في الدم، ويرش منه سبع مرات امام الرب عند حجاب القدس، كذلك يضع بعض الدم على قرون مذبح البخور الذي في داخل القدس في حضرة الرب. اما بقية الدم فيصبه عند قاعدة مذبح المُحرقة القائم عند مدخل

⁽³²¹⁾ لاويين، 4: 12-1.

خيمة الاجتماع. وينزع الكاهن بعد ذلك جميع شحمه، ويحرقه على المذبح، ويفعل بالثور كما فعل بثور الخطيئة، فيكفر الكاهن عن الشعب، ويغفر الله لهم. ثم يحمل بقية الثور الى خارج المخيم، ويحرقه كما احرق الثور الاول، فيكون بذلك ذبيحة خطيئة عن كل الشعب⁽³²²⁾.

• القربان المقدم بسبب خطيئة احد قادة الشعب:

اذا اخطأ احد قادة الشعب سهواً، واقترب اثماً غير متعمد، ثم تنبه الى خطئه الذي ارتكبه، فانه يقدم قرباناً، جدياً ذكراً سليماً من كل عيب. يضع المضحي يده على رأس الجدي، ويذبحه في الجانب الشمالي لمذبح المحرقة، امام الرب، ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الخطيئة بإصبعه ويضعه على قرون مذبح المحرقة، ويحرق جميع شحمه على المذبح، كما هو الحال بشحم ذبيحة السلام، وهكذا يُكفر الكاهن عن خطيئة هذا القائد، فيغفر الرب له⁽³²³⁾.

• القربان المقدم خطيئة عن احد العامة:

اذا اخطأ احد من عامة الشعب سهواً، واقترب اثماً غير متعمد، ثم نُبّه الى خطيئته التي ارتكبها، فإنه يقدم قرباناً مؤلفاً من ماعز أو ضأن على ان تكون انثى سليمة من كل عيب للتكفير عن خطيئته التي ارتكبها. ويضع المضحي يده على رأس ذبيحة الخطيئة، ويذبحها عند موضع ذبيحة المحرقة. ويأخذ الكاهن من دمها ويضعه على قرون مذبح المحرقة، ويصب بقية دمها عند قاعدة المذبح. ثم ينتزع الكاهن جميع شحمها على غرار ما فعل بشحم ذبيحة السلام، ويحرقها على المذبح تقدمة رضا للرب، فيُكفر الكاهن عنه، ويغفر الرب له⁽³²⁴⁾.

⁽³²²⁾ لاويين، 4: 13-21.

⁽³²³⁾ لاويين، 4: 22-26.

⁽³²⁴⁾ لاويين، 4: 27-35.

3. ذبيحة الاثم:

هي ذبيحة تقدم من اجل التكفير عن الخطايا الموجهة ضد الرب، وضد الاخرين، فكانت الذبيحة تقدم للرب، ويدفع التعويض للشخص الذي اسيء اليه، وتختلف نوع الاضحية، وطريقة تقديمها حسب نوع الاثم المرتكب، ويقدم القربان بالشكل الآتي:

1. يقر الشخص الذي ارتكب اثماً بما اخطأ به.
2. يحضر الشخص المذنب ذبيحة اثم من اجل التكفير عن خطيئته التي اقترفها وهي: نعجة أو اثنى ماعز، فيكفر الكاهن عند ذاك عن خطيئته.
3. يذبح الكاهن ذبيحة الاثم في موضع ذبح المُحرقة، ويرش دمها على جوانب المذبح المحيطة به، ويقرب الكاهن منها كل شحمها: الالية، وشحم الاعضاء الداخلية، والكليتان، وشحمهما الذي على الخاصرتين، وينزع المرارة مع الكليتين، ويحرقها الكاهن على المذبح وقوداً للرب.
4. اذا كان الشخص فقيراً، وغير قادر على احضار شاة، فيقدم الى الرب ذبيحة اثمه الذي ارتكبه يمامتين أو فرخي حمام، يكون احدهما ذبيحة خطيئة، والاخر مُحرقه. فيأخذ الكاهن ذبيحة الخطيئة اولاً، ويقربها بأن يحز رأسها من الخلف، ولا يفصله عن الجسم، ويرش بعض دمها على حائط المذبح، ويُصقّي بقية الدم عند قاعدة المذبح. ثم يقدم الثاني مُحرقه وفقاً للنظام المتبع، وهكذا يُكفّر الكاهن عن خطيئة المذنب، ويغفر الرب له.
5. ان كان المذنب افقر من ان يقدم يمامتين، أو فرخي حمام، فعليه ان يحضر قرباناً عن خطيئته مؤلفاً من عُشر الإيفة (حوالي 2,5 لتر) من دقيق ناعم، ولا يضع عليه زيتاً، أو لباناً، لأنه قربان خطيئة، ويقدمه للكاهن، فيملاً منه قبضته، ويحرقه على

المذبح، فيُكفّر الكاهن بذلك عن اي خطيئة من الخطايا المرتكبة اعلاه، ويغفر الرب له، اما بقية التقدمة فتكون من نصيب الكاهن على غرار تقدمه الدقيق⁽³²⁵⁾.

-قربان يقدم من اجل تقديم الاكرام والاحترام للرب في العبادة:

هذا النوع من القربان يطلق عليه اسم تقدمه الدقيق، وهو كما هو الحال في النوع الاول من القربان له شروط محددة. ففي حالة كون القربان المقدم من الحنطة، فعلى المضحى ان يقدم دقيق الحنطة، ويسكب عليها زيتا، ويضع عليها لُبانا، ثم يحضرها الى الكهنة، فيملأ الكاهن قبضته من دقيق التقدمة، وزيتها مع كل لُبانها، ويوقدها تذكارا على المذبح، من اجل مُحرقه رضا تسر الرب؛ اما بقية التقدمة فتكون من نصيب الكهنة⁽³²⁶⁾. اما اذا كان القربان تقدمه مخبوزة في التنور، فيجب ان تكون اقراصا من دقيق فطير، ملتوتة أو مدهونة بزيت؛ وان كان القربان مخبوزا على الصاج، فيجب ان يكون من دقيق فطير، ملتوتة بزيت، ثم يتم تقطيعها الى فتات ويُصب عليها الزيت. وان كانت التقدمة مخبوزة في مقلاة، فيجب ان تكون من دقيق معجون بزيت، وأيا كان نوع القربان المقدم اي سواء كان: مخبوزا في تنور، ام على الصاج، ام في مقلاة، فيجب ان يقدم الى الكاهن، وهو يقربه الى المذبح، الذي يأخذ جزءا من التقدمة ويحرقه على المذبح، فيكون بذلك مُحرقه رضا تسر الرب؛ اما بقية التقدمة فتكون من نصيب الكهنة⁽³²⁷⁾. فضلا عن هذا كانت هناك شروط اخرى تخص تقدمه الدقيق وهي:

- لا يجوز ان يضع المضحى خميرا في تقدمه الدقيق المقدمة للرب.
- لا يجوز ان يقدم تقدمه مخبوزة فيها خمير، أو عسل.

⁽³²⁵⁾ لاويين، 5: 14-5 : 7 : 5-1.

⁽³²⁶⁾ لاويين، 2: 3-1.

⁽³²⁷⁾ لاويين، 2: 10-4.

• يمكن ان يقدم الشخص مقدمة للرب مؤلفة من خبزٍ مختمرٍ وعسلٍ كقرايين بواكير الحصاد فقط، ولكن في هذه الحالة لا تُصعد على المذبح كمُحرقات رضا للرب.

• ان القربان المقدم يجب ان يكون مملحا.

• اذا قدم المضحى قربانا من بواكير الحصاد، فيجب ان يكون من الفريك، ينزع حبه من رؤوس سنابله الطرية، ويتم جرشه، وشويه، ثم يصب المضحى الزيت عليه، ويضع لبانا فوقه، ليقدم بعد ذلك مقدمة باكورة حصاد، ثم يحرق الكاهن منه جزء تذكاريًا مع زيته، وجميع لبانه فيكون مُحرقَةً للرب⁽³²⁸⁾. ويمكن ان نقدم ملاحظات عدة حول قرايين الدقيق وفق المعتقدات اليهودية كما يتضح ادناه:

1. كانت مقدمة الدقيق تلازم المُحرقَة، وهي عبارة عن مقدمة شكر لله، وحسب التقاليد اليهودية كانت بمثابة تذكار للشعب بأن طعامهم يأتي من الله، ومن ثم كانوا مدينين بحياتهم له.

2. ان مقدمة الدقيق تتضمن ثلاثة انواع من الحبوب هي:

• دقيق ناعم مع زيت ولُبَان.

• اقراص مخبوزة من دقيق ناعم وزيت.

• سنابل قمح مشوية مع زيت ولُبَان.

3. ان عدم وجود خمير يرمز الى عدم وجود خطيئة، وان الزيت يرمز الى حضور الله.

4. كان يحرق جزء من هذه المقدمة على المذبح قربانا لله، وكان الكهنة يأكلون الباقي منها، فكانت هذه التقديمات هي مؤونتهم من اجل عملهم.

5. ان المالح ضروري في القربان، وحسب التقاليد اليهودية كانت التقديمات تملح بملح لتذكيرهم بعهد الشعب مع الله، فالمالح بالنسبة لليهود رمز جيد لعمل الله في حياة

³²⁸ (لاويين، 2: 11-16).

الانسان، لأنه يحفظ الطعام، ويساعد على الشفاء، وهو بذلك يشبه عمل الله بالنسبة للإنسان⁽³²⁹⁾.

-قربان يقدم من اجل التعبير عن الشكر للرب:

يطلق على هذا النوع من القرابين اسم: ذبيحة سلام، وحسب التقاليد اليهودية على كل شخص ان يقدم ذبيحة سلام تعبيراً عن اعترافه بالجميل، ووسيلة لترسيخ الشراكة بينه وبين الله، ولأنها كانت ترمز للسلام مع الله، كان يمكن لمقدمها ان يأكل جزء منها⁽³³⁰⁾. والاضاحي الحيوانية لذبيحة السلام تقدم وفقاً لطرق محددة؛ فإن قرب احد ذبيحة سلام من الابقار، أو الثيران، أو العجول، فيجب ان يكون الحيوان سليماً من كل عيب، ويضع المضحى يده على رأس الحيوان، ويذبحه عند باب خيمة الاجتماع، ثم يرش الكهنة الدم على جوانب المذبح المحيطة به، ويحرق الكاهن على المذبح امام الرب من ذبيحة السلام، جميع شحم الاعضاء الداخلية، والكليتين، وشحمهما الذي على الخاصرتين، والمرارة، فتكون بذلك مُحرقه رضا تسر الرب⁽³³¹⁾. وان قدم احد ذبيحة سلام من الغنم ذكراً أو أنثى، فيجب ان يكون الحيوان سليماً من كل عيب، ويقدمه امام الرب، وعلى المضحى ان يضع يده على رأس الحيوان، ويذبحه عند خيمة الاجتماع، ويرش الكهنة دمه على جوانب المذبح المحيطة به. ثم يحرق الكاهن على المذبح امام الرب من ذبيحة السلام شحمها، فينزع كامل الالية من العصعص، وجميع شحم الاعضاء الداخلية، والكليتين وشحمهما الذي على الخاصرتين، والمرارة⁽³³²⁾. اما اذا كان القربان المقدم من الماعز، فعلى المضحى ان يضع يده على رأس الحيوان المقدم اضحية، ويذبحه عند خيمة الاجتماع، ويرش الكهنة الدم على جوانب المذبح المحيطة به، ويحرق

⁽³²⁹⁾ بارتون وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص220.

⁽³³⁰⁾ المصدر نفسه، ص221.

⁽³³¹⁾ لاويين، 3: 1-5.

⁽³³²⁾ لاويين، 3: 6-11.

الكاهن على المذبح وامام الرب من الذبيحة: جميع شحم الاعضاء الداخلية، وينتزع كذلك الكليتين، وشحمهما الذي على الخاصرتين، والمرارة⁽³³³⁾. ومن شروط ذبيحة السلام: ان قربها احد لأجل الشُّكر، فعليه ان يقدم معها كعكا غير مختمر معجوننا بزيت، ورقاق فطير مدهونة بالزيت، ودقيقا ملتوتا بزيت، فضلا عن ارغفة خبز مختمرة، يقربها مع ذبيحة شكر من اجل سلامته. اما لحم ذبيحة الشكر فيؤكل من قبل مقدمها في نفس يوم تقديم الذبيحة، ولا يُبقي الشخص المضحي منه شيئا الى الصباح. واذا كانت ذبيحة تقدمته نذرا أو ذبيحة اختيارية اخرى، فإنها تؤكل في يوم تقديمها، وفي اليوم التالي يؤكل ما فضل منها، ويحرق كل ما يتبقى من الذبيحة لليوم الثالث، وكل من يأكل ذبيحة سلامته في اليوم الثالث يُصبح مذنبا، اذ انها تُعد غير مقبولة، ولا يحسبها الله لمن قربها، وتكون بذلك نجسة. واي لحم يمَس شيئا نجسا لا يؤكل منه بل يجب حرقه بالنار. ولا يؤكل من اللحم الا ما هو طاهر، وكل نجس يأكل من لحم ذبيحة السلام المكرسة للرب يتم طرده من بين الشعب⁽³³⁴⁾.

بصرف النظر عن نوع الاضحية الحيوانية المقدمة، كانت هناك شروط تخص سلامة الحيوان المضحي به، الذي يجب ان يكون سليما وليس فيه ادنى عيب، فكل اسرائيلي، أو من الغرباء المقيمين في اسرائيل يقدم قربانا، سواء كان وفاء لنذر، أو مقدمة طوعية، فعليهم ان يقربونها مُحرقَة للرب، وتكون مُحرقَة للرضا عنهم، والحيوان المضحي به يجب ان يكون: ثورا، أو كبشا، أو تيسا سليما، اذ لا يجوز ان يقدموا اضحية فيها عيب، لأنها لن تكون مقبولة للرضا عنهم. واذا صعّد احد ذبيحة سلام للرب، وفاء لنذر، أو ذبيحة طوعية، فيجب ان تكون من البقر، أو الغنم، سليمة خالية من كل عيب، لكي يحوز مقدمها الرضا من الرب. ولا يجوز في كل الاحوال تقديم حيوان للرب كذبيحة اعمى، أو مكسور، أو مجروح، أو به بثور، أو

³³³ لاويين، 3: 12-17.

³³⁴ لاويين، 7: 11-21؛ 19: 5-8.

اجرب، أو اكلف. اما الثور، أو الحمل الذي فيه عضوزائد أو ناقص، فيجوز تقديمه
تقدمة طوعية، ولكن ليس وفاء لنذر لأنه سيكون في هذه الحالة مرفوضاً من قبل
الرب. كما لا يجوز ان تُصَعَّد للرب حيوانا ذا خصى مرضوضة، أو مسحوقة، أو
مقطوعة، ولا يجوز ايضا شراء هذه الحيوانات المشوهة من غريب لتقديمها ذبائح
للرب، لأنه لن يقبلها منهم، نظرا لما فيها من تشوه وعيب⁽³³⁵⁾،: "ان كان في البكر(بكر
البهائم) عيب من عرج أو عمى، أو اي عيب، فلا تذبحه للرب الهك"⁽³³⁶⁾؛ وهناك
تأكيد واضح بعدم ذبح اي حيوان فيه عيب للرب: "لا تذبحوا للرب الهكم ثورا أو
حملا فيه عيب، أو شيء رديء، لان ذلك رجساً لدى الرب"⁽³³⁷⁾. ولا نعرف ان كان
هناك شروط محددة تخص مقدم القرابين، غير ان اشارة مهمة تصف تقديم قرابين
للرب بالقول: "اقبل ثمانون رجلا من شكيم، ومن شليوه، ومن السامرة، بلحي
محلوقة، وثياب ممزقة، واجساد مجروحة، حاملين معهمقدمة من الدقيق،
ولثبانا، ليحضروها الى بيت الرب"⁽³³⁸⁾. والحقيقة لا نعرف تحديدا ان كان هذا
السلوك يخص مقدمي القرابين بشكل عام، ام هو خاص بهؤلاء الثمانين حسب.
وتقدم الديانة اليهودية شروطا حول مقادير القرابين المقدمة من الحبوب، اذ يقدم
سدس الايفة(تبلغ الايفة الواحدة عشر الحומר) من الحنطة(حوالي ثلاثة لترات وثلاثي
اللتر) لقاء كل حומר حنطة(حوالي 175كغم)؛ وسدس الايفة من الشعير لقاء كل
حומר شعير. اما تقدمه الزيت فتبلغ بث واحدا(يبلغ البث الواحد عشر الحומר)،
لقاء كل كور(وهو يساوي الحומר). اما بالنسبة لمقادير القرابين الحيوانية فكانت

³³⁵ (لاويين، 22: 17-25.

³³⁶ (تثنية، 15: 21.

³³⁷ (تثنية، 17: 1.

³³⁸ (ارميا، 41: 5.

بالشكل التالي: شاة واحدة من الضأن من كل قطع فيه 200 رأس من الضأن مُنتجة
في مراعي اسرائيل الخصبة⁽³³⁹⁾.

³³⁹ حزقيال، 45: 13-15.

احراق وارقة

نعرف من التقاليد الاسرائيلية عن وجود مُحرقات للرب، فنوح بعد ان انتهى الطوفان قدم مُحرقات للرب⁽³⁴⁰⁾. وهذا يثرون كاهن مديان وحمو موسى يقدم مُحرقه وذبائح لله⁽³⁴¹⁾؛ كما ارسل موسى عدد من شبان بني اسرائيل الى جبل اقام عليه مذبحا من اجل تقديم مُحرقات للرب⁽³⁴²⁾. وتشير رواية الى ان رجلا يدعى يواقيم قدم مقدمة محرقة للرب، وكان يُعتقد ان بهذه الطريقة تصل التضحية للرب: "فلما قدم يواقيم تضحيته لله، فالملاك ورائحة التضحية ذهبوا سويا، مباشرة للسموات مع الدخان"⁽³⁴³⁾.

كان الاسرائيليون القدماء يسكبون الماء امام الرب، فذات مرة اجتمع بنو اسرائيل في المصفاة حيث استقوا ماء: "وسكبوه امام الرب"⁽³⁴⁴⁾. وبينما كان داود معتصما عند احد الحصون بالقرب من بيت لحم، المحاصرة من قبل الفلسطينيين، طلب من رجاله ان يجلبوا له ماء من المدينة المحاصرة: "من يسقيني ماء من بئر بيت لحم القائمة عند بوابة المدينة؟"، فاقترح ثلاثة من رجال داود وهم: يوشيب بشبث التحكموني⁽³⁴⁵⁾، والعازار بن دودو بن اخوخي⁽³⁴⁶⁾، وشمة بن اجي الهراري، معسكر

³⁴⁰ تكوين، 8: 20.

³⁴¹ خروج، 18: 12.

³⁴² خروج، 24: 5.

³⁴³ انجيل متى المزيف، 3: 8.

³⁴⁴ صموئيل الاول، 7: 6.

³⁴⁵ يرد اسمه في وثيقة اخبار الايام الاول بصيغة يشبعام بن حكموني. انظر: اخبار الايام الاول، 11: 11.

³⁴⁶ يرد اسم احد قادة داود المفترضين ويدعى دوداي الاخوخي الذي ربما كان نفسه القائد الوارد اعلاه. انظر:

اخبار الايام الاول، 27: 4.

الفلسطينيين وجلبوا ماء من البئر، وحملوه الى داود، ولكن الاخير بدلا من ان يشربه:
"سكبه للرب"⁽³⁴⁷⁾.

³⁴⁷ صموئيل الثاني، 23: 14-16؛ اخبار الايام الاول، 11: 16-18.

تناول الانسان للقربان

ان تناول القرايين من قبل البشر لا يتم في اي مكان، بل في المكان الذي يحدده الرب بنفسه لاسيما في وقت الاحتفالات: "احذروا ان تأكلوا في مدنكم عشور حنطتكم، وخمركم، وزيتكم، ولا ابكار بقركم، وغنمكم، ولا شيئا من ندوركم أو قرايينكم الطوعية، وتقديمات ايديكم. بل تأكلونها انتم، وابناؤكم، وبناتكم، وعبيدكم، واماؤكم، واللاويون المقيمون في جواركم لدى الرب الهكم في المكان الذي يختاره الرب الهكم، وتحفلون امامه بكل ما تمتلكه ايديكم، (و) اياكم اهمال اللاويين طوال بقائكم في ارضكم"⁽³⁴⁸⁾. ونحن نقرأ تأكيدا اخر حول تناول القربان في مواقع يحددها الرب: "كلوا عشور حنطتكم، وخمركم، وزيتكم، وابكار بقركم، وغنمكم لدى الرب، في الموضع الذي يختاره ليحل اسمه فيه، لتتعلموا ان تتقوا الرب الهكم دائما"⁽³⁴⁹⁾. ولكن ان كان الطريق الى موضع سكنى الرب طويلا، بحيث يتعذر معه حمل العشور اليه؛ أو كان المكان الذي يختاره الرب بعيدا عليهم ففي هذه الحالة يقرر الرب ما يلي: "بيعوا عشور غلاتكم بفضة وصروها، وامضوا الى الموضع الذي يختاره الرب الهكم، وانفقوا الفضة على ما تشتهي انفسكم من بقر، وغنم، وتمر، ومسكر، وكل ما ترغبون فيه، واحتفلوا انتم واهل بيوتكم لدى الرب الهكم، ولا تهملوا اللاويين المقيمين في مدنكم لانهم لم يرثوا ملكا أو نصيبا معكم"⁽³⁵⁰⁾. وحيانا يقدم الناس المدنيون غير الكهنة على تناول جزء من قرايين المعبد ان كانوا مضطرين رغم ان طعام القرايين لا يحل لهم، فعندما قدم داود الى اخيمالك الكاهن في نوب (بلدة شمال اورشليم)، واخبره بأنه في مهمة مقدسة سرية مكلف بها من قبل

³⁴⁸ (تثنية، 12: 17-19).

³⁴⁹ (تثنية، 14: 23).

³⁵⁰ (تثنية، 14: 24-27).

الملك شاؤول، طلب منه ان يقدم اليه طعاما: "اعطني خمسة ارغفة أو ما يتوافر لديك"، فأجاب الكاهن: "ليس عندي خبز اعتيادي، وانما خبز مقدس"، ولكن تقديم الطعام لداود ورجاله لا يتم الا وفق شروط خاصة: "يمكن لرجالك ان يأكلوا منه شريطة ان يكونوا قد حفظوا انفسهم طاهرين، ولاسيما من النساء"، فأخبر داود الكاهن اخيمالك: "ان النساء قد منعن عنا منذ امس، وما قبل، كما هي العادة عند خروجي في مهمة، اما امتعتهم فمبي دائما طاهرة، حتى في اثناء تنفيذ المهمات العادية، فكم بالحري ان كانت المهمة مقدسة؟". فأعطاه الكاهن الخبز المقدس: "اذ لم يكن لديه سوى خبز التقدمة المرفوع من امام الرب ليحل محله خبز ساخن يوم رفعه"⁽³⁵¹⁾. ولاحقا اشار المسيح الى هذه الحادثة وأكد أحقية داود في تناول خبز القربان: "أما قرأت ما عمل داود عندما احوجه الجوع هو ورجاله؟ كيف دخل بيت الله في ايام ابياتار رئيس الكهنة، فأكل خبز القربان، واعطى منه رجاله، وأكله لا يحل الا للكهنة"⁽³⁵²⁾.

عرفنا اعلاه كيف ان مصير القربان يتناوله البشر بشكل رئيس سواء كان كاهناً ام رجلاً مدنياً، وهو امر منطقي نظراً لعدم قدرة الانسان ان يتخيل الاله وهو يتناول تلك الكمية الكبيرة من الاطعمة، ومع ذلك كانت هناك بعض الشروط التي تجعل من الانسان غير قادر على تناول القربان، بعض تلك الشروط مرتبطة بالإنسان ذاته، وبعضها لها علاقة بنوع القربان المقدمة، فمن ناحية كان الوضع الاجتماعي لبعض البشر جعلهم محرومين من تناول القربان، لكن الادلة عن هذا التصور قليلة جداً، ففي الديانة اليهودية كانت ذبيحة الفصح محرم تناولها على كل شخص غير مختون: "غير المختون لا يأكل منها"⁽³⁵³⁾؛ لذا ونتيجة لهذه القاعدة الدينية فإن اشخاصاً محددين لا يحق لهم ان يأكلوا من ذبيحة الفصح: "لا يأكل

⁽³⁵¹⁾ صموئيل الاول، 21: 6-1.

⁽³⁵²⁾ متى، 12: 4-3؛ مرقس، 2: 25-26؛ لوقا، 6: 4-3.

⁽³⁵³⁾ خروج، 12: 48.

غريب من ذبيحة الفصح، ولا يأكل منها العبد المشتري الا اذا اختن، والضيف
والاجير لا يأكلان منها..."⁽³⁵⁴⁾.

³⁵⁴ (خروج، 12: 43-45).

قبول القربان

حسب التصور اليهودي كان مقدم القربان يتضرع لله ان يقبل قربانه: "حينئذ اعد(ادم وحواء) تقدمة واصعدها للمذبح، وقداها امام الرب، وبدءا في التوسل اليه ليقبل تقدمتهم..."⁽³⁵⁵⁾. ولكن لا يمكن لله ان يقبل القربان الا من المؤمنين فعلا: "ذبيحة الصّدّيق دسم على المذبح، ورائحتها طيبة امام العلي. ذبيحة الصّدّيق مقبولة، وذكرها لا يُنسى"⁽³⁵⁶⁾. وهذا الامر ينطبق ايضا على الغرباء المعتنقين للديانة اليهودية: "اما ابناء الغرباء المنضمون الى الرب ليخدموه، ويحبوا اسمه ليكونوا له عبيدا، فكل من يحافظ على السبب منهم ولا ينقضه، ويتشبت بعهدي، فهؤلاء اتي بهم الى جبلي المقدس، وافيض عليهم الفرح في بيت صلاتي، وتكون مُحرقاتهم، وقربانهم مقبولة على مذبحي، لان بيتي سيدعى بيت الصلاة لجميع الامم"⁽³⁵⁷⁾. وكان الله يعبر عن قبوله للقربان بوسائل عدة، فالرب ينظر الى التقدمة ويعلن عن قبولها، فهابيل يقدم الى الرب اباكار اغنامه قربانا، ويقبل الرب بالمقابل تقدمته: "فنظر الرب برضا الى هابيل وتقدمته"⁽³⁵⁸⁾. والطريقة الاعتيادية التي تعبر عن قبول الله للقربان هو ظهور نار تلتهم القربان، كما حدث مع تقدمة ادم وحواء: "ارسل الاله من حضرته نارا ساطعة فالتهمت تقدمتهم..."⁽³⁵⁹⁾: "أو: "فأرسل الاله نارا مضيئة على تقدمة ادم وحواء..."⁽³⁶⁰⁾: "وعندما قدم هابيل قربانه الى الرب نزلت: "نارا

³⁵⁵ (السفر الثاني لادم وحواء، 1: 10.

³⁵⁶ (يشوع بن سيراخ، 35: 8-9.

³⁵⁷ (اشعيا، 56: 6-7.

³⁵⁸ (تكوين، 4: 4-5..

³⁵⁹ (السفر الاول لادم وحواء، 24: 2.

³⁶⁰ (السفر الاول لادم وحواء، 68: 13.

الهيئة، والتهمت تقدمته"⁽³⁶¹⁾. والرب يأمر ابرام ان يقدم له اضاحي، واخبره ان يأخذ عجلة، وعغزة، وكبشا اعمارها ثلاث سنوات، فضلا عن يمامة وحمامة. فاخذ ابرام الحيوانات وشطرها انصافا، وجعل كل شطر مقابل الشطر الاخر، في حين لم يشطر الطيرين. وما ان غابت الشمس وخيم الظلام: "حتى ظهر تنور دخان، ومشعل نار عابر بين تلك القطع من الذبائح"⁽³⁶²⁾. وموسى عندما قدم قربانه وصلى للرب نزلت النار من السماء والتهمت المُحرقات"⁽³⁶³⁾. وجدعون يعد جديا، وايفة دقيق فطيرا، ويضع اللحم في سلة والحساء في قدر، ويحملها الى الرب تحت بلوطة ويقدمها له، فقال ملاك الرب: "خذ اللحم والفطير، وضعهما فوق الصخرة، واسكب الحساء"، ففعل جدعون ذلك، فمد ملاك الرب طرف العكاز الذي بيده ومس به اللحم والفطير، فاندلعت نار من الصخرة والتهمتها، وتوارى ملاك الرب عن عينيه"⁽³⁶⁴⁾. ولعل افضل الروايات ايضاها للنار التي تلتهم القربان هي حادثة التحدي بين النبي ايليا وانبياء البعل، فبعد ان قدم انبياء البعل قربانهم الى الههم، وفشلهم في التحدي، يجيء دور النبي ايليا في تقديم قربانه الهادف الى البرهنة ان اله اسرائيل هو الله الحقيقي وليس البعل، وقبل ان يبدأ ايليا بتقديم قربانه خاطب الشعب بالقدوم اليه، فدنا جميع الشعب منه، ثم قام ايليا بترميم مذبح الرب المهدم، واخذ اثني عشر حجرا حسب عدد اسباط اسرائيل، وبني بهذه الحجارة مذبحا باسم الرب، وحفر حوله قناة تسع نحو كيلتين من الحب، ثم رتب الحطب، وقطّع الثور، ووضع اجزاءه على الحطب، وامر ان يملأوا اربع جرات ماء ويصبوها على المُحرقة، وعلى الحطب، وقد صب الحضور الماء ثلاث مرات حتى جرى حول المذبح، وامتألت القناة ايضا بالماء، وفي موعد ذبيحة المساء صلى ايليا للرب قائلا: "ايها الرب، اله ابراهيم، واسحاق،

⁽³⁶¹⁾ السفر الاول لادم وحواء، 78: 22: السفر الثاني لادم وحواء، 6: 13.

⁽³⁶²⁾ تكوين، 15: 9-10، 17.

⁽³⁶³⁾ المكابيين الثاني، 2: 10.

⁽³⁶⁴⁾ قضاة، 6: 19-21.

واسرائيل، ليعلم اليوم انك انت الله في اسرائيل، واني انا عبدك، وبأمر منك اقدمت على هذه الامور. استجبني يا رب، استجبني، ليدرك هذا الشعب انك انت الرب الاله، وانك انت ترد قلوبهم اليك"، وفورا بعد انهى ايليا صلاته نزلت نار من السماء التهمت المُحرقة، والحطب، والحجارة، والتراب، ولحست ماء القناة⁽³⁶⁵⁾. وعندما قدم داود مُحرقاته على المذبح الذي شيده في بيدراونا/ارنانا اليبوسي ودعا الرب: "استجاب له بإنزال نار من السماء على مذبح المُحرقة"⁽³⁶⁶⁾. وعندما قدم سليمان قربانه للرب بمناسبة تدشين الهيكل صلى: "وما ان اتم سليمان صلاته حتى نزلت نار من السماء التهمت المُحرقة، والذبائح..."⁽³⁶⁷⁾. ولكن لماذا يرسل الله نارا الهية؟ بلا شك ان حرق القربان يساعد الله على تنسم: "الرائحة الحلوة" للقربان، هذا ما تشير اليه النصوص باستمرار⁽³⁶⁸⁾. وقد يعبر الله عن قبوله القربان ليس عن طريق النار بل النور: "قبل الاله تقدمه ادم وارسل نورا من السموات، ظهر على التقدمة"⁽³⁶⁹⁾؛ وعندما قدم هاويل تقدمته للرب ارسل الاخير له: "ملاكا من نور في شكل انسان، الذي تناول تقدمته"⁽³⁷⁰⁾. ولكن ما هو الشرط الذي يجعل من الاله راضياً عن القربان المقدم؟ بلا شك يرتبط الامر بسلوك الإنسان ذاته، اذا كان صالحاً أم شريراً، فحسب احدى الروايات يقدم هاويل وهو الابن الثاني لادم تقدمته لله، ويصلي من اجل ان يقبل تقدمته، حينئذ نظر الاله لهاويل وتقدمته، ويقرر قبولها بسبب: "قلبه الخير، وجسده النقي، لم يكن هناك اثر من الاحتيال فيه"⁽³⁷¹⁾. وعندما

³⁶⁵ الملوك الاول، 18: 20-38.

³⁶⁶ اخبار الايام الاول، 21: 26.

³⁶⁷ اخبار الايام الثاني، 7: 1؛ المكابيين الثاني، 2: 10.

³⁶⁸ السفر الاول لادم وحواء، 24: 3؛ 78: 22.

³⁶⁹ السفر الاول لادم وحواء، 75: 2.

³⁷⁰ السفر الاول لادم وحواء، 78: 23.

³⁷¹ السفر الاول لادم وحواء، 77: 4-5.

قرر هابيل ان يقدم قربانه الى الله مع اخيه قايين، فانه قد: "اقام حجارة كانت بقرب
يده، وعليها اصعد هديته بقلب متواضع وخال من الغدر"، لذا يقبل الله تقدمته⁽³⁷²⁾.

⁽³⁷²⁾ السفر الاول لادم وحواء، 78: 19، 22.

خطيئة واصنام وشياطين

في النصوص اليهودية كانت عبادة الالهة الوثنية يوقع الانسان في الخطيئة المسببة للموت: "ابيد من مؤاب، يقول الرب، من يقرب ذبيحة على مرتفعة، ومن يحرق بخورا لآلهة الوثن"⁽³⁷³⁾. وكان اكل ما هو مخصص للرب يسبب الموت للشخص الذي اقدم على هذا الفعل، فالرب يخبر موسى بأن يوصي بني اسرائيل: "من يأكل شحم بهائم المحرقات التي تقدمونها للرب يباد من بين شعبه"⁽³⁷⁴⁾. ويبدو ان هذا هو السبب الذي ادى الى غضب الرب على المملكة الشمالية لانهم: "يذبحون الذبائح المقربة الي لياكلوا لحومها، لا ليقدموها الي"⁽³⁷⁵⁾. كما ان سرقة ما هو للرب عقوبته الموت، فعندما توجه يشوع نحو مدينة عاي القريبة من اريحا يلاقي هزيمة منكرة، عند ذلك يخبر الرب يشوع عن سبب هزيمتهم، وهو ان واحدا من رجال اسرائيل قد احتفظ لنفسه بثوب، وبعض الامتعة النفسية من غنائم اريحا، مخالفا بذلك امر التحريم، اذ كان الرب قد امر ان يكون كل ما في المدينة له، فيؤخذ المذنب مع بنيه، وبناته، وبقره، وحميره، وغنمه، وخيمته، فيرجمون جميعا ثم يحرقون بالنار، وبذلك يزول غضب الرب عن اسرائيل، مما يسبب انتصار يشوع في حملته الثانية على مدينة عاي⁽³⁷⁶⁾. كما ان الرب يغضب اذا ما تم الاستيلاء على قرابينه: "أ يسلب الانسان الله؟ لقد سلبتموني! وتسالون: بماذا سلبناك؟ في العشور والقرابين. انتم (أي الكهنة) بل الامة كلها، تحت اللعنة لأنكم سلبتموني"، والحل من اجل انهاء اللعنة، والتخلص من غضب الرب هو اعادة قرابين الرب اليه: "هاتوا العشور جميعها الى بيت الخزينة ليتوافر في هيكلي طعام، واختبروني لتروا ان كنت لأفتح كوى السماء،

⁽³⁷³⁾ ارميا، 48: 35.

⁽³⁷⁴⁾ لاويين، 7: 25.

⁽³⁷⁵⁾ هوشع، 8: 13.

⁽³⁷⁶⁾ السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص 88، 91.

وافيض عليكم بركة وفيرة...واكف عنكم اذى الجراد الملتهم، فلا يتلف غلات الارض، ولا تصاب كرومكم بالعقم..."⁽³⁷⁷⁾. وكان الامتناع عن تقديم القرابين للرب يعني خطيئة فادحة، وعادة ما نقرأ عن الرب وهو يشكو اهمال قرابينه بشكل متعمد من قبل البشر: "لم تلتمسني يا يعقوب، بل سئمت مني يا اسرائيل، لم تأتني بشاة لذبيحة مُحرقَة، ولم تكرمني بقرابينك، مع اني لم اثقل عليك بتقدمة، ولا ارهقتك بطلب اللبان، ولم تشتتر لي بخورا زكي الرائحة، ولم تشبعني بشحم ذبائحك، انما اعيتني بثقل آثامك، وارهقتني بذنوبك"⁽³⁷⁸⁾. ونعرف ان ياسون الذي تولى منصب الكاهن الاعظم في عهد الملك السلوقي انطيوخوس الرابع (164-175 قبل الميلاد) قد ادخل مظاهر الحضارة الهلنستية الى اورشليم الى حد ان الكهنة ما عادوا يهتمون بخدمة المذبح، واستهانوا بالهيكل، وكانوا يهملون تقديم الذبائح، ويسارعون الى الملعب للمشاركة في الالعاب المخالفة للشريعة، كلعبة الصحنون المستديرة، وكانوا يستخفون بمآثر ابائهم ويفاخرون بمآثر الاغريق دون سواهم، فلذلك حلت بهم نكبة عظيمة⁽³⁷⁹⁾. ونعرف ان مخالفة اوامر الرب عند تقديم القربان يسبب الموت الفوري، فعندما قام ناداب وابيهو ابني هارون بوضع نار غير مقدسة، وبخور في مجمرتهما على خلاف ما امرهما الرب، وقربا امام الرب، اندلعت نار من عند الرب فالتهمتهما، وماتا فوراً⁽³⁸⁰⁾. وحسب التشريعات اليهودية لا يجوز على الكهنة ان ينتهكوا تقدمات بني اسرائيل، ومن هذه الانتهاكات التي قد يقوم بها الكهنة ان يقترب كاهن الى التقدمات وهو غير طاهر، وان عقاب ذلك: "ان تلك النفس تستأصل من امامي، فأنا الرب"⁽³⁸¹⁾. كما ان اهمال تقديم القرابين في مواعيدها ينجم عنه غضب الرب، فكل

⁽³⁷⁷⁾ ملاخي، 3: 8-11.

⁽³⁷⁸⁾ اشعيا، 43: 22-24.

⁽³⁷⁹⁾ المكابيين الثاني، 4: 14-16.

⁽³⁸⁰⁾ لاويين، 10: 2.

⁽³⁸¹⁾ لاويين، 22: 3-1.

شخص طاهر، وليس على سفر، واغفل الاحتفال بعيد الفصح، فإنه: "يستأصل من بين شعبه، لأنه لم يقدم قربان الرب في اوانه"⁽³⁸²⁾. فإذا كان الاهمال في تقديم القربان يسبب غضب الرب، فكيف اذا كان الامر متعمدا؟ فملك يهوذا حزقيا (715-687 قبل الميلاد) يقول لكهنة الهيكل ان الملوك السابقين له ارتكبوا الشر، وتركوا الرب، وحولوا وجوههم عن هيكله، واداروا له ظهورهم، واغلقوا ابواب الرواق، واطفأوا السرج، وكذلك: "لم يوقدوا بخورا، ولم يقربوا مُحرقَة في القدس لِإله اسرائيل"، ونتيجة لذلك انصب غضب الرب على يهوذا، واورشليم، وجعلهم محل رعب، ودهشة، واحتقار: "هوذا ابأؤنا قد سقطوا صرعى السيف، وابناؤنا وبناتنا ونساؤنا في الاسر من جراء هذا"، ونظرا لكل هذا قرر حزقيا ان يقطع عهدا مع الرب اله اسرائيل فيرد عن الشعب لهيب غضبه⁽³⁸³⁾. كما ان الانتهاكات التي تصيب الطقوس الدينية تسبب الخطيئة، وغضب الرب، فتحدث رواية عن الانتهاكات الدينية التي كان يمارسها ابنا الكاهن عالي المدعوان حُفني وفينحاس: "اما ابنا عالي فكانا متورطين في الشر، (و) لا يعرفان الرب، ولا حق الكهنة المتوج على الشعب"، ولكن ما هو هذا الشر المرتكب؟ تشرح الرواية كيف ان ابنا عالي كانا يعتديان على قربان الرب، فكلما قدم رجل ذبيحة يأتي غلام الكاهن عند طبخ اللحم حاملا خطافا ذا ثلاث شعب، فيغرزه في اللحم الذي في المرجل، أو المقل، أو القدر، ويأخذ الكاهن كل ما يعلق بشعب الخطاف، وكانا يقومان بهذا الفعل مع جميع الاسرائيليين القادمين الى شيلوه. وينقل لنا العهد القديم حوار داربين احد مقدمي القرابين وخادم الكاهن يظهر من خلاله مدى الانتهاكات الدينية التي قام بها ابني عالي لقرابين الرب، فخادم الكاهن يأتي الى ذابح القربان، ويقول له قبل احراق الشحم: "اعط لحما للكاهن حتى يشوي، فإنه لا يقبل منك لحم مطبوخ بل نئ"، فيجيبه الرجل

⁽³⁸²⁾ عدد، 9: 13.

⁽³⁸³⁾ اخبار الايام الثاني، 29: 6-10.

الذي يقدم القربان: "ليحرقوا اولاً شحم الذبيحة، ثم خذ ما تشتهيهِ نفسك"، الا ان الخادم يرفض ويقول لمقدم القربان: "لا بل اعطني الان اللحم والا اخذه بالرغم عنك". وهكذا عظمت خطيئة ابني عالي امام الرب، لان الشعب استهان بذبيحة الرب من جراء تصرفاتهما⁽³⁸⁴⁾. ولم يكتف ابنا عالي بما قام به من انتهاكات بحق قربان الرب بل انهما استمر في خطيئتهما لانهم: "كانوا يضاجعون النساء المجتمعات عند مدخل خيمة الاجتماع"، ولم يكن امام الكاهن عالي الطاعن في السن الا ان يبوخ ابنيه بسبب افعالهما المشينة، لانهما يجعلان: "الشعب يتعدى على شريعة الرب"، وهو يؤكد لهما انه اذا اخطأ انسان بحق انسان اخر، فإن الله يدينه، ولكن: "ان اخطأ الى الرب فمن يصلي لأجله؟"، ولكن ابنا عالي لم يتعظا، واستمرا في ارتكاب الاخطاء. وذات يوم جاء نبي الى عالي برسالة من الله يعاتبه فيها ويتساءل: "لماذا تحتقرون ذبيحتي، وتقدمتي التي امرت بها للمسكن، وتفضل ابنيك عني لتكدسوا الشحم على ابدانكم مما تخيرتموه من قربان شعبي. لذلك يقول الرب اله اسرائيل: لقد وعدت ان يظل بيتك وبيت ابيك يخدمون في محضري الى الابد، اما الان يقول الرب: حاشا لي ان افعل ذلك، لأنني اكرم الذين يكرموني، اما الذين يحتقرونني فيصغرون"، ثم يصدر الرب حكمه بلعنة ابدية على بيت عالي: "ها هي ايام مقبلة يخطف فيها الموت رجالكم، فلا يبقى شيخ في بيتك. وتشهد ضيقا في مسكني، بينما ينعم الاسرائيليون بالرفاهية، ويخلو بيتك من الشيوخ كل الايام، ويكون من استحبيه من ذريتك لخدمة مذبحي سببا في اغشاء عينيك بالدموع، واذابة قلبك بالحزن، وبقيّة ذريتك يموتون شبانا"، ومن اجل يصدق عالي حكم الرب الابدي يصدر حكما ثانيا على مرتكبي الخطيئة بالموت: "وتصديقا لقولي اعطيك علامة تصيب ابنيك حُفني، وفينحاس: انهما في يوم واحد يموتان كلاهما". واخيرا يقدم الرب حكمه النهائي بانتزاع الكهانة من بيت عالي نهائيا: "اختر لنفسي كاهنا مخلصا

³⁸⁴ صموئيل الاول، 2: 12-17.

يعمل بمقتضى ما بقلبي، ونفسي، فأقيم له بيتا امينا، ويصير كاهنا للملك الذي اختاره. وكل ما يبقى من ذريتك يأتي اليه ساجدا، متوسلا من اجل قطعة فضة، ورغيف خبز، متضرعا اليه قائلا: هبني عملا بين الكهنة، لأكل كسرة خبز»⁽³⁸⁵⁾. يا له من حكم قاس فرضه الرب، ولكن علينا ان نراجع الان سبب هذا الغضب الكبير من قبل الرب على ولدي عالي، فحسب الشريعة اليهودية كان يحق للكهنة ان يأخذوا نصيبا من الذبيحة المقدمة للرب، والتالي اين الخطيئة التي ارتكها حُفني وفينحاس؟ لم يكن الرب غاضبا لان حُفني وفينحاس اكلوا من القرابين المقدمة الى الرب، بل انه غاضب من السلوك غير الاخلاقي الذي مارسه هذان الاثنان، فحسب الرواية اعلاه كان كلما قدم رجل ذبيحة يأتي غلام الكاهن عند طبخ اللحم حاملا خطافا ذا ثلاث شعب، فيغرز في اللحم ويأخذ كل ما يعلق به، وهذه اول خطيئة ارتكها ابنا عالي، فصحيح ان الرب سمح للكهنة ان يأكلوا من القرابين المقدمة، لكنه لم يكن من حق الكاهن ان يأخذ ما يشاء من الذبيحة، بل هناك اجزاء محددة على الكاهن ان يأخذها، وبالتالي كان غرز الخطاف ذي الشعب الثلاثة يعني ان حُفني وفينحاس سيتناولان ما يشاءان من الذبيحة وهذه خطيئة. واستنادا الى الحوار الدائرين خادم الكاهن واحد مقدمي القرابين يتضح جليا الخطيئة الثانية، فخادم الكاهن يطالب بحصة الكاهن من اللحم قبل احراق الشحم المخصص للرب، والذي يجب ان يوضع على المذبح ليحرق، ومن ثم يطالب ذلك الغلام لسيديه اللحم نيئا وليس مطبوخا، واخيرا يرفض ذلك الخادم ان يقوم مقدم القربان بحرق شحم الذبيحة، ثم يعطي للكاهن ما يريده، ويهدد مقدم القربان بأنه سيأخذ حصة الكاهن بالقوة!!!، وبالتالي نحن امام سلسلة من الخطايا المتلاحقة التي تجعل من سلوك حُفني وفينحاس غير مقبول بكل الاحوال. واخيرا نعود للخطيئة الثالثة وهي قيام ابنا الكاهن عالي بمضاجعة النساء الجالسات عند مدخل خيمة الاجتماع، اللاتي قدمن للتعبد

³⁸⁵ صموئيل الاول، 2: 22-36.

وتقديم القرابين، وبالتالي انتهكا حرمة مسكن الرب. بعد ذلك هل سيبقى شيء يجعل من الخطيئة المرتكبة من قبل هذين الاثنين تغتفر من قبل الرب؟ بلا شك لا. ولكن علينا نسأل الآن ان العقاب الذي فرضه الرب ليس عادلاً طالما انه سيُشمل كل بيت عالي، ليس مرتكبي الخطيئة حسب، وبالتالي هل كان عالي يستحق العقاب؟ بالتأكيد كان كذلك، لأنه عرف ما كانا يقومان به من اعمال شريرة: "فلم يردعهما"⁽³⁸⁶⁾.

ان السلوك الشرير بلا شك مرفوض من قبل الاله، وهو يؤدي الى نتائج عكسية بالنسبة للإنسان، فالعهد القديم يتحدث عن قيام قايين بتقديم قرابينه النباتية للرب: "فقدم قايين من ثمر الارض تقدمة للرب"⁽³⁸⁷⁾، الا ان الرب الذي كان ينظر الى قرابين كلا الاخوين قايين وهابيل قبل برضا ما قدمه الاخير، ولكنه لم يرض عن قرابين قايين: "اما الى قايين وتقدمته فما نظر برضا، فغضب قايين جدا، وعبس وجهه"⁽³⁸⁸⁾. غير ان اي سبب لرفض الرب لقربان قايين لم يرد هنا، لذا من حقنا ان نسأل لماذا رُفض قربان قايين⁽³⁸⁹⁾؟ ان سلوك قايين اللاحق اي غضبه لعدم قبول الرب قربانه يكشف عن جانب من شخصيته الشريرة، ولكن الرب لا يقدم اي مبرر يجعله يرفض قربان قايين، فنحن لا نقرأ مثلاً ان قربان الاخير سيء، أو انه قد قدمه بشكل غير لائق، فهل الرب لا يحب القرابين النباتية؟ غير اننا لا نمتلك نصاً صريحاً يشير الى هذه المسألة، لذا في ظل غياب المبرر الذي يجعل قربان قايين مرفوضاً، علينا ان نتجه لمعرفة السبب الى مصادر اخرى. فادم بموجب اسطورة يهودية يحث ولديه قايين وهابيل على تقديم قرابينهما لله، لكن ابنه الاصغر هابيل يقدم قربانه

³⁸⁶ صموئيل الاول، 3: 13.

³⁸⁷ تكوين، 4: 3.

³⁸⁸ تكوين، 4: 5.

³⁸⁹ ان تساؤلنا هذا غير مهم وغير مجدي بالنسبة للإنسان المؤمن الذي لا يريد ان يسأل نفسه ما الذنب الذي ارتكبه قايين لكي تُرفض ذبيحته؟، لأن الايمان بالنسبة له ان يصدق ما ورد في النصوص المقدسة من غير تساؤل: "بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من ذبيحة قايين، وبالإيمان شهد الله له انه من الابرار عندما رضي بقرابينه". انظر: العبرانيين، 11: 4.

عن طيب خاطر، وبذلك يختلف في موقفه عن موقف اخيه قايين. وهنا علينا ان نكشف السلوك غير الاخلاقي لقايين من اجل ان نفهم طبيعة القربان الزائف. بالنسبة لقايين فانه: "لم يرد ان يفعل تقدمة، لكن بعدما اصبح والده غاضبا جدا، اصعد تقدمة مرة واحدة، اخذ اصغر خرافه لأجل التقدمة، ولما اصعده، كانت عيناه على الحمل. لذلك فان الاله لم يقبل تقدمته بسبب ان قلبه كان مليئا بأفكار قاتلة"⁽³⁹⁰⁾. ما هذا السلوك غير الاخلاقي والشري الذي يبرر به كاتب النص عدم قبول الله لقربان قايين؟! فقبل كل شيء كان قايين يرفض ان يقدم قرباناً للرب، وبتأثير من غضب ابيه قام بتقديم قربانه، وبالتالي كان قايين كارها لتقديم قربان لله، وحتى عندما قرر ان يقدمه رغما عنه قدم قربانا لمرة واحدة! وهو غير كاف قياسا طبعا بهابيل التقي الذي كرر تقديم القربان ثلاث مرات، وبذلك نفهم الفرق بين الاخوين. ولم يكتف قايين بفعلين شنيعين، بل اكمل سوء سلوكه ان قدم اصغر خرافانه للرب!! وحتى هذا الحمل الصغير، كان قد عدده كثيرا على الرب، لذلك كله لم يقبل الله قربانه. انه نص يكشف حقيقة القربان الزائف بشكل جلي ومن غير اي غموض أو لبس. ومن اجل ان نفهم القربان الزائف اكثر علينا ان نستمر في متابعة سلوك قايين المشين، اذ يقرر ولدا ادم ان يقدم قرايينهما للمرة الثانية بإيعاز من ابيهما، لذا اتجها الى المذبح الموجود على الجبل لهذه الغاية، وهنا نجد قايين قد: "تصرف بتكبر نحو اخيه، ودفعه من على المذبح، ولم يدعه يُصعد تقدمته على المذبح". ولم يكتف قايين بذلك بل: "قدم تقدمته، بقلب متعجرف، مملوء بالغدر والخداع". هنا يقدم لنا الكتاب تصور مكملاً لتصورنا الاول حول قربان قايين، وان كان يضيف عنصراً اخرأ يعطينا مزيداً من التصورات عن قربان قايين غير المقبول، ف قايين الذي قدم قربانه بقلب متعجرف مليء بالغدر والخداع، قام بسلوك مشين اخر، لقد منع اخيه هابيل من ان يقدم قرباناً، لذا ماذا كان يتوقع من الله؟ كان

³⁹⁰ (السفر الاول لادم وحواء، 7: 7-8).

يريد منه ان يقبل قربانه لكن ذلك لا يمكن ان يتم، لقد كان قربانه زائفاً وفق كل التصورات الاخلاقية، لذا فان قايين الذي كان: "واقفا بجانب المذبح، الذي اصعد عليه هديته"، صرخ لله: "ان يقبل تقدمته لكن الاله لم يقبل منه، ولا حتى نارا الهية نزلت لالتهامها"⁽³⁹¹⁾. والله الذي لا يقبل ابدا قربانا زائفا يخاطب قايين، الذي غضب بشدة لان الله لم يقبل قربانه، ووصل غضبه درجة انه: "فتح فمه وجدف على الاله"⁽³⁹²⁾، وهنا يخبره الله عن سبب عدم قبوله قربانه: "لماذا تبعدو حزينا، كن بارا حتى اقبل تقدمتك، ليس ضدي قد تدمرت، بل ضد ذاتك"⁽³⁹³⁾. هكذا لا يمكن ان نتصور كيف يمكن لله ان يقبل قربان انسان شرير فـ: "ذبيحة الشرير يمقتها الرب، فكيف اذا قدمها بكبرياء؟"⁽³⁹⁴⁾. وكأن هذا النص يصف تماما سلوك قايين المشين والشرير. ان هذه المسألة أي التناقض الحاسم بين سلوك كل من هابيل الطيب وقايين الشرير دفع احد كبار مفكري المسيحية وهو القديس اوغسطين ان يعلق على هذه المسألة بالشكل التالي: في البدء كان آدم ثم ولد له قايين الذي اسس بالفعل المدينة الارضية، بينما هابيل لم يؤسس له مدينة في الارض بل اسس المدينة السماوية ليظهر انه موجود في هذا العالم وهو في طريقه الى الحياة الخالدة⁽³⁹⁵⁾. بمعنى ان قايين يمثل كل ما هو ارضي، وشرير مقابل هابيل الذي يمثل كل ما هو سماوي وخير!!، وهنا علينا ان نتساءل في اقل تقدير، وان كان خارج الفكرة العامة، ان كان القديس اوغسطين يحمل افكاراً غنوصية؟!، وطبعاً لا مجال هنا للبرهنة من عدمها على هذا التساؤل.

³⁹¹ (السفر الاول لادم وحواء، 78: 17-20).

³⁹² (السفر الاول لادم وحواء، 78: 25).

³⁹³ (السفر الاول لادم وحواء، 78: 26).

³⁹⁴ (امثال، 21: 27).

³⁹⁵ (علي زيعور، اوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطة، بيروت: دار اقرأ، 1983)، ص245.

ان الرب اليهودي يمقت الشر يخاطب الارض ويبلغها عن الافكار الشريرة التي يمتلكها الاسرائيليون.: "اسمعي ايها الارض وانظري، لأنني جالب شرا على هذا الشعب عقابا لهم على افكارهم الاثيمة، لانهم لم يطيعوا كلماتي، وتنكروا لشريعتي"⁽³⁹⁶⁾؛ ان ذلك مبرراً كافياً للرب يجعله يرفض قرابين الاشرار لأنها زائفة: "مُحرقاتكم مرفوضة، وتقدماتكم لا تسرني"⁽³⁹⁷⁾. وهو يؤكد ذلك ايضا بقوله: "ان قربوا مُحرقات، وتقدمات دقيق فلن اتقبلها"⁽³⁹⁸⁾. والسامرة الشريرة التي انحرفت كثيرا عن طريق الرب عندما فضلت الهة اخرى عليه يؤكد لها بأنه لا يريد قربانها، ولن يقبله: "لا تسكبوا للرب خمرا، ولن تسره ذبائحكم..."⁽³⁹⁹⁾. فهو يحتقر ذبائحهم واحتفالاتهم واعيادهم التي تقدم فيها القرابين: "اني امقت اعيادكم واحتقرها، ولا اسر باحتفالاتكم، ومع انكم تقربون لي ذبائح مُحرقاتكم، وتقدماتكم من الدقيق، فإني لا اقبلها، ولا التفت الى ذبائح السلام من مسمنات مواشيكم"⁽⁴⁰⁰⁾. كما يرفض الرب الكهنة الاشرار الذين يزدرون اسمه: "ان الرب القدير يقول لكم: ايها الكهنة المزدرون باسمي؛ ولكن هؤلاء يتسألون عن حيرة أو جهل: "كيف ازدرينا باسمك؟" فيجيب الرب بأن قرابينهم زائفة: "لأنكم تقربون على مذبحي خبزا نجسا"، غير انهم لا يعرفون المغزى الحقيقي من تلك النجاسة التي يصفها الرب فيستمترون في حيرتهم وتساءلهم: "بم نجسناك؟"، فيرد الرب: "بظنكم ان مائدة الرب مُزدرات"، وهنا يشرح الرب مفهوم الازدراء بمائدة قرابينه، وكيف ان القرابين التي يقدموها من قرابين حيوانية ليست فقط سيئة ولكن غير سليمة، ومليئة بالعيوب: "عندما تقربون الحيوان الاعمى ذبيحة، أليس ذلك شرا؟ أو حين تقدمون الحيوان الاعرج والمريض،

⁽³⁹⁶⁾ ارميا، 6: 19.

⁽³⁹⁷⁾ ارميا، 6: 20.

⁽³⁹⁸⁾ ارميا، 14: 12.

⁽³⁹⁹⁾ هوشع، 9: 4.

⁽⁴⁰⁰⁾ عاموس، 4: 21-22.

أليس هذا شرا؟"، هذه القرابين الزائفة التي لا يقبلها حاكم كهدية له: "قدموا مثل هذا القربان هدية لحاكمكم، أ فیرضا عنكم ويكرمكم؟"، فكيف يتوقع مقدمها ان یرضا بها الرب كقربان: "ولكن بمثل هذه القرابين المُعتلة یرضا عنكم؟". وهكذا یرفض الرب قرابينهم ویعلن عدم رضاه عن مقدميها: "اذ لا مسرة لي بكم، ولا ارضا بتقدمة من ايديكم". ولكن الكهنة الفاسدين والاشرار لا یكتفون بتقديم قرابين مریضة وسيئة، بل یؤكدون ان طعام مائدة الرب فاسد: "ان مائدة الرب نجسة، وان طعامها فاسد ومُزدرى". وهكذا يُظهر الكهنة اسوأ ما يمتلكونه من صفات عندما یقررون ان يقدموا قرابينهم للرب وهم غير راغبين بذلك في داخلهم: "ما هذه المشقة التي نتكبتها؟ وتأفتم عليّ"، كما ان قرابينهم التي يقدمونها لیست ملكهم بل ما استولیت علیه ايديهم: "تقربون الي ما استولیتم علیه ظلما، وما هو اعرج، أو مریض"، فهل بعد ذلك كله یقبل الرب قرابينهم: "فهل اقبل هذا من ايديكم؟". ولیس فقط الازدراء یكرهه الرب ولكن المكر ايضا عندما یقرر ماكران ینذر للرب ذكرا سلیما من قطیعه، ولكن عندما یقریه فإنه یقدم ما هو مصاب بعیب⁽⁴⁰¹⁾. وهذا النص ینذكرنا بخطیئة قايین التي قرأناها سابقا؛ لذا یحذر یسوع بن سیراخ ابنه اشد تحذیر من تقديم ذبیحة مصابة الى الله: "اياك والذبیحة التي بها عیب"⁽⁴⁰²⁾. ولاحقا ینتقد المسیح اليهود بسبب نفاقهم عندما یفضلون ان يقدموا تقدمة للرب وذویهم بحاجة الى تلك التقدمة: "من كان عنده ما یساعد به اباه وامه وقال لهما: هذه تقدمة لله، فلا یلزمه ان یكرم اباه. وهكذا ابطلتم كلام الله من اجل تقالیدكم، یا مراؤون"⁽⁴⁰³⁾. وهكذا یمكن ان نخلص ان أي قربان مقدم من انسان شریر، ماكر، أو

⁴⁰¹ ملاخي، 1: 9-6.

⁴⁰² یسوع بن سیراخ، 35: 15.

⁴⁰³ متى، 15: 7-5.

منافق لا يمكن قبوله من الله: "كل ما يقدمه الظالمون غير مقبول، (و)العلي لا يرضا بقرابين الاشرار"⁽⁴⁰⁴⁾.

ان الرب لا يرفض فقط القران الزائف المقدم من الاسرائيليين بل يرفض أي قران مقدم له من أي شعب اخر!! رغم اننا لا نعرف لماذا يعبده شعب اخر، فالرب يخاطب حكام سدوم وعمورة(مدينتان تقع شرق الاردن) ويؤكد لهم انه لن يقبل ابدا قرابينهم الزائفة: "ماذا تجديني كثرة ذبائحكم يقول الرب؟ شبعتم من مُحرقات كباش وشحم المسمنات، ولا أُسر بدم عجول، وخرقان، وتيوس. حين جنتم لتمثلوا امامي، من طلب منكم ان تدوسوا بيوتي؟ كفوا عن تقديم قرابين باطلة، فالبخور رجس لي، وكذلك رأس الشهر، والسبت، والدعاء في المحفل، فأنا لا اطيق الاعتكاف مع ارتكاب الاثم. لشدة ما تبغض نفسي احتفالات رؤوس شهوركم، ومواسم اعيادكم، صارت علي عبثاً، وسئمت حملها. عندما تبسطون نحوي ايديكم احجب وجهي عنكم، وان اكثرتم الصلاة لا استجيب، لا ايديكم مملوءة دماً". ان الرب يخاطب سدوم وعمورة بانه لا يريد كباشهم وذبائحهم، فهي لا تجدي ولا تنفع، وهو لن يستجيب الي صلواتهم ودعائهم، ولكن لماذا؟ لانهم ببساطة اشرار، والحل لمشكلتهم العويصة، هي ان يغيروا سلوكهم الاخلاقي: "اغتسلوا، تظهروا، ازيلوا شر اعمالكم من امام عيني..."، وهو يقول لهم ان يكفوا عن اقتراف الاثم، ويعلموا الاحسان، وينشدوا الحق، وينصفوا المظلوم، ويقضوا لليتيم، ويدافعوا عن الارملة، فاذا ما حققوا ذلك كله فإن الله يغفر لهم خطاياهم: "ان كانت خطاياكم كلطخات قرمزية فإنها تبيض كالثلج، وان كانت حمراء غامقة، فهي تصير بيضاء كالصوف". وانهم بعد ذلك امام خيارين لا ثالث لهما ان اطاعوا فإنهم يتمتعون بخيرات الارض، وان ابوا يُدمرون بالسيف⁽⁴⁰⁵⁾.

⁴⁰⁴ يشوع بن سيراخ، 34: 18-19.

⁴⁰⁵ اشعيا، 1: 10-20.

لم يكن الشر، والخطيئة، وترك عبادة الرب هو الشيء الوحيد الذي يجعل الرب يرفض القرّبان بل الاخطاء الطقسية ايضا، فحسب التعليمات التي قدمها الرب لموسى ليس كل قرّبان يُقبل من قبله، فأى اسرائيلي يذبح قرّباناً بقرا أو غنماً أو ماعزاً في المخيم أو خارج المخيم، وليس عند مدخل خيمة الاجتماع حيث يتوجب عليه تقديمه امام مسكن الرب، يُعد قاتلاً قد سفك دماً، ويجب: "ان يستأصل ذلك الانسان من بين شعبه"، وذلك لكي يأتي بنو اسرائيل بذبائحهم التي يذبحونها في: "خلاء الصحراء"، ويقدموها للرب عند مدخل خيمة الاجتماع، على يد الكاهن، الذي يقربها بدوره كذبائح سلام للرب، فيرش دم الذبيحة على مذبح الرب، عند المدخل المذكور، ويحرق الشحم ليحظى برضا الرب⁽⁴⁰⁶⁾. ولمزيد من التوكيد يقول الرب: "اي اسرائيلي، أو غريب من الغرباء المقيمين في وسطكم، يُصعد مُحرقاً أو ذبيحة، ولا يأتي بها الى مدخل خيمة الاجتماع، ولا يقدمها للرب يستأصل من بين شعبه"⁽⁴⁰⁷⁾. كما نمتلك اسباباً اخرى تجعل القرّبان غير مقبول ومنها المصدر المالي لمقدم القرّبان، اذ لا يجوز للشخص تقديم قرّبان مصدره المالي غير قانوني: "لا تأتوا بتقدمة نذر ما الى بيت الرب الهكم من مكسب زانية أو مأبون، لان كليهما رجس امام الرب"⁽⁴⁰⁸⁾، فهذا النمط من القرّابين مقدم من مال حرام: "ذبيحة بمال الحرام مهزلة..."⁽⁴⁰⁹⁾. كما ان الله لا يقبل قرّبان شخص استولى على اموال الاخرين: "من قدم ذبيحة من مال المساكين فهو كمن يذبح الابن امام ابيه"⁽⁴¹⁰⁾.

ان مخالفة اوامر الرب كفيلة بجعله يرفض القرّبان، ويمكن ان نصادف من قصة حرب شاول مع اجاج ملك عماليق تصورات حول هذه المسألة، فالرب يأمر

⁽⁴⁰⁶⁾ لاويين، 17: 1-6.

⁽⁴⁰⁷⁾ لاويين، 17: 8-9.

⁽⁴⁰⁸⁾ تثنية، 23: 18.

⁽⁴⁰⁹⁾ يشوع بن سيراخ، 34: 18.

⁽⁴¹⁰⁾ يشوع بن سيراخ، 34: 20.

شاؤول ان يهاجم عماليق ويبيدهم!!: "اذهب الان وهاجم عماليق واقض على كل ماله،(و) لا تعف عن احد منهم، بل اقتلهم جميعا رجالا، ونساء، واطفالا، ورضعا، بقرا، وغنما، جمالا، وحميرا". ولكن هل نفذ شاؤول اوامر الرب؟ بالطبع لا، فبعد ان انتصر على العماليق فيما بين جنوب البحر الميت وشمال سيناء، وافنى الجميع حسب ما امر الرب، ولم يترك امرأة، ولا طفلا، ولا رضيعا الا ذبحه، لكنه عفا عن ملكهم اجاج بعد ان امسك به، كما انه ابقى على الصحيح، والجيد من المواشي، ولم يجرمها للرب بل ساقاها امامه، وقفل راجعا الى مقره: "هجم شاؤول على العمالقة على طول الطريق من حويلة حتى مشارف شور مقابل مصر، واسر اجاج ملك عماليق حيا، وقضى على جميع الشعب بحد السيف. عفا شاؤول عن اجاج، وعن خيار الغنم، والبقر، والعجول، والخراف، عن كل ما هو جيد، وابوا(اي الاسرائيليون) ان يقضوا عليها، ولم يدمروا الا الاملاك، والغنائم التي لا قيمة لها". وبالتالي خالف شاؤول اوامر الرب الى حد جعل الاخير يندم لأنه عين شاؤول ملكا: "قال الرب لصموئيل: ندمت لأنني جعلت شاؤول ملكا، فقد ارتد عن اتباعي، ولم يطع امري"، فحزن صموئيل على شاؤول لأنه كان يحبه، وناح عليه الليل كله. وفي الصباح خرج الى شاؤول وعنفه على ما فعل، ولكن شاؤول اكد لصموئيل انه نفذ اوامر الرب، فتساءل صموئيل: "ماذا تقول عن ثغاء الغنم، وصوت الثيران التي تضح في مسامعي؟". وهنا علينا ان نسأل مع صموئيل لماذا قام شاؤول بهذا السلوك؟. بلا شك لم يكن شاؤول طامعا في الغنائم لأنه كان يرغب في ان يقدمها قربانا الى الرب، ويتضح ذلك جليا من اجابة شاؤول عن سؤال صموئيل: "انها من غنائم العمالقة، لان الشعب عفا عن خيار الغنم، والبقر، ليقدمها ذبائح للرب الهالك، واما ما تبقى فقد دمرناه". وهكذا نعلم جيدا ان شاؤول اراد ان يقدم قربانا للرب، غير اننا لا نعرف الى الان لماذا عد سلوك شاؤول خطأ، واصبح قربانه زائفا؟ يظهر ان المشكلة لا تكمن في القربان انما في تنفيذ امر الرب كما يتضح من خطاب صموئيل الذي القاه على شاؤول مذكرا اياه بالهدف الاصلي للحملة العسكرية على العمالقة: "قال

صموئيل: ألم تكن تحسب نفسك حقيرا، لكن الرب جعلك على رأس اسباط اسرائيل، واقامك ملكا عليهم، وكلفك بمحاربة عماليق، والقضاء عليهم قضاء مبرما؟ فلماذا لم تطع امر الرب، بل تهافت على الغنيمة، وارتكبت الشر في عيني الرب؟". فيجيب شاؤول اجابة لا تختلف كثيرا عن اجابته السابقة من اجل تبرير سلوكه في الاحتفاظ ببعض الغنائم من الحرب: "قد اطعت اوامر الرب، ونفذت ما عهد الي به، واسرت اجاج ملك عماليق، وقضيت على شعبه، فأختار القوم من الغنيمة افضل الغنم والبقر لتقريبها ذبائح للرب الهك في الجلجال"، اما صموئيل الذي لم يكن يهتم ابدا بهذا التبرير يقدم الاجابة القاطعة لشاؤول عن سبب رفض الرب لقربانه: "هل يُسر الرب بالذبائح، والمُحرقات، كسروره بالاستماع الى صوته؟ ان الاستماع افضل من الذبيحة، والاصغاء افضل من شحم الكباش، فالتمرد مماثل لخطيئة العرافة، والعناد شبيهه بشر عبادة الوثن الاثم، ولأنك رفضت كلام الرب، فقد رفضك الرب من الملك"⁽⁴¹¹⁾. وهكذا نعرف جيدا ان سبب رفض الرب لقربان شاؤول كونه خالف اوامر الرب، وقدم قربانا اليه كان من المفروض عليه الا يقدمه.

تتحدث وثائق البحر الميت عن القرابين الزائفة، وتشير الى شخصية سميت بالكاهن الشرير الذي قام بتدنيس الهيكل عن طريق تقديم قرابين الاغنياء الوثنيين⁽⁴¹²⁾. وبلا شك كان الكاهن الشرير الذي اشارت اليه الوثائق هو تلميح لكهنة الهيكل في اورشليم، فقد افاضت اللفائف في انتقاد كبار الكهنة بسبب قبولهم قرابين الاغيار (الاجانب) وهباتهم، رغم ما يعنيه ذلك من تدنيس الهيكل. ويبدو ان ذلك الفعل غير المحتمل من قبل الجماعات المتشددة، كان احد العوامل لانفجار الثورة اليهودية عام 66م، لمنع الوثنيين من تقديم قرابينهم الى الهيكل⁽⁴¹³⁾، والحقيقة لم يشر كتاب النظام، وهو احد كتب مخطوطات البحر الميت، الى سكنة قمران

⁽⁴¹¹⁾ صموئيل الاول، 15: 1-23؛ انظر ايضا: السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص 112-113.

⁽⁴¹²⁾ العوري، اهل الكهف، ص 385-386.

⁽⁴¹³⁾ العوري، اهل الكهف، ص 389.

قدموا قربانهم الى معبد الجالية اليهودية في اورشليم، مما يدل على عدم احترامهم ذلك الهيكل⁽⁴¹⁴⁾.

ماذا لو كان العبادة مقدمة لإله زائف؟ لا يختلف الامر كثيرا النسبة للقربان الزائف، فالأخير لا يمكن ان يُقبل من قبل الرب، والاول لا فائدة منه لكون الاله المقدم له غير حقيقي ومزيفاً: "اية منفعة للصنم بالقربان، فهو لا يأكل ولا يشم"⁽⁴¹⁵⁾. والرب يحذر الاسرائيليين الا يعبدوا الهة مزيفة: "احذرك يا اسرائيل، هلا سمعت لي؟ لا تكن فيك عبادة لإله غريب، ولا تسجد لإله اجنبي"⁽⁴¹⁶⁾. والرب يبغض تماما القربان المقدمة للالهة المزيفة: "لأنك تبغضهم لأعمالهم الشريرة كممارسة السحر وتقديم الذبائح الدنسة..."⁽⁴¹⁷⁾. لذا فالرب يؤكد لموسى ان يمتنع الاسرائيليون عن تقديم قربانهم لهذه الالهة المزيفة: "لا يذبحوا ذبائحهم في الخلاء كمُحرقات لأوثان التيوس التي يغوون وراءها فتكون لهم هذه فريضة دائمة جيلا بعد جيل"⁽⁴¹⁸⁾. والرب قطع عهدا مع بني اسرائيل يحرم بموجبه تقديم القربان الى الهة زائفة: "قطع الرب مع بني اسرائيل عهدا، وامرهم الا يعبدوا الهة اخرى، ولا يسجدوا لها، ولا يتقوها، ولا يقربوا لها الذبائح"⁽⁴¹⁹⁾. وان البشر المؤمنين يؤكدون دوما التزامهم بأوامر الرب، فهم لا يقدمون قربان للأوثان: فإحدى الصلوات المنسوبة الى داود نقرأ فيها:

"تتكاثر اوجاع المتهافتين وراء غيرك"

اما انا فتقدمت سكاتهم الدموية لا اقدم

ولا اذكر اسماء اوثانهم بشفتي"⁽⁴²⁰⁾.

⁴¹⁴ الاحمد، تاريخ فلسطين القديم، ص362.

⁴¹⁵ يشوع بن سيراخ، 30: 19.

⁴¹⁶ مزامير، 81: 8-9.

⁴¹⁷ الحكمة، 12: 4.

⁴¹⁸ لاويين، 17: 7.

⁴¹⁹ الملوك الثاني، 17: 35.

⁴²⁰ مزامير، 16: 4.

ويكشف الحوار الذي دار بين ملك يهوذا ابيا، وملك اسرائيل يربعام كيف ان الالهة الزائفة لا تستحق ان يقدم لها القرابين لأنها ليست الهة: "ألم تطردوا كهنة الرب ابنا هارون واللاويين، واقمتهم لأنفسكم كهنة كالأمم الأخرى، فيصبح كل من يأتي ليكرس عجلاً وسبعة كباش كاهناً لمن ليسوا الهة؟"⁽⁴²¹⁾. ولاحقاً عندما ظهرت الديانة المسيحية في القرن الأول الميلادي عد الامتناع عن تقديم الذبائح الى الالهة المزيفة شرطاً لدخول هذه الديانة: "نكتب اليهم ان يمتنعوا عن ذبائح الاصنام النجسة"⁽⁴²²⁾. مع ذلك نحن نقرأ بشكل واضح كيف ان الاسرائيليين كانوا يقدمون قربانهم لالهة زائفة: "قدموا مُحرقات لأوثان ليست هي الله، لالهة غريبة لم يعرفوها بل ظهرت حديثاً، الهة لم يرهبوها من قبل"⁽⁴²³⁾؛ والرب يقول للإسرائيليين: "تقدمون عطاياكم للأوثان..."⁽⁴²⁴⁾. وهوشع يؤكد ان الاسرائيليين رغم كل الانبياء الذين ارسلهم الرب اليهم لم يستجيبوا بل ظلوا معرضين وذابحين قربان للبعل⁽⁴²⁵⁾. وان البشر اجمعين الذين يقدمون قربانهم للأصنام لن يرضا عنهم الله ابداً: "لها سكبتكم سكيب تقدماتكم، واصعدتم قربانكم، فهل ارضا عن هذه الامور؟"⁽⁴²⁶⁾.

ان الالهة الزائفة لا نفع منها يرتجى، وهي لا يمكن لا تستجيب لنداء المؤمنين بها حتى وان قدموا لها القرابين، هذا ما تكشفه بجلاء قصة تحدي النبي ايليا لكهنة البعل الذي تظرفيه الالهة الزائفة عاجزة، وبأئسة، وهزيلة. فالنبي ايليا يتجه الى ملك اسرائيل اخاب ويطلب منه ان يستدعي انبياء البعل وعشاروت ليقوم تحدياً بينه وبينهم: "ارسل، واستدع لي كل بني اسرائيل الى جبل الكرمل، وكذلك انبياء

⁽⁴²¹⁾ اخبار الايام الثاني، 13: 9.

⁽⁴²²⁾ اعمال الرسل، 15: 19؛ انظر كذلك: 15: 29؛ 21: 25.

⁽⁴²³⁾ تثنية، 32: 17.

⁽⁴²⁴⁾ حزقيال، 20: 31.

⁽⁴²⁵⁾ هوشع، 11: 2.

⁽⁴²⁶⁾ اشعيا، 57: 6.

البعل الاربعة مئة وخمسين، وانبياء عشتاروت الاربعة مئة الاكلين على مائدة ايزابل(زوجة اخاب)". ولم يكن امام ملك اخاب الا ان يستدعي جميع بني اسرائيل، وجميع الانبياء على جبل الكرمل، وهنا خاطب النبي ايليا الشعب قائلا: "حتى متى تظلون تعرجون بين الفرقتين؟ ان كان الرب هو الله فاتبعوه، وان كان البعل هو الله فاتبعوه"، فلم يجبه الشعب بكلمة، ثم استأنف ايليا خطابه قائلا: "انا بقيت وحدي نبيا للرب، وانبياء البعل اربعة مئة وخمسون، فأعطونا ثورين، وليختبر انبياء البعل احدهما، ويقطعوه، ويضعوه على الحطب، من غير ان يشعلوا نارا، وانا اقرب الثور الاخر، واضعه على الحطب، من غير ان اشعل نارا. ثم تتضرعون باسم الهتكم، وانا ادعو باسم الرب الهي، والاله الذي يستجيب وينزل نارا يكون هو الله الحق؛" انه تحد حاسم ونهائي ليبرهن فيه ايليا كيف الالهة الزائفة مهما زاد عدد اتباعها، فأنها هي الخاسرة في النهاية امام الاله الحقيقي، والشعب الذي يراقب عن كثب، وبحماسة دينية بلا ريب هو الحكم النهائي في هذا التحدي، فبعد ان انهى ايليا خطابه اجاب جميع بني اسرائيل: "هذا قول صائب". فالتفت ايليا الى انبياء البعل قائلا لهم: "اختاروا لأنفسكم ثورا واحدا، وقربوا اولاً لأنكم الاكثر عدداً، وادعوا باسم الهتكم، ولكن اياكم ان تشعلوا نارا"، والحقيقة لا يمكن ان نعرف اي شيء عن شعور كهنة البعل وموقفهم ازاء هذا التحدي، وهل كانوا يدركون انهم اتباع الهة زائفة؟ فالرواية لم تكتب ابداً من وجهة نظرهم، بل ان الكاتب كان يهدف الى ان يبرهن بشكل قاطع كيف ان الالهة الزائفة لا يمكن لها ان تصمد امام اله حقيقي، كلي القدرة، وعظيم، ولم يكن امام كهنة البعل الا ان يستجيبوا لتحدي ايليا وان كانوا على الاغلب قد ادركوا مقدما فشلهم، كما يرسم لنا الكاتب الصورة التي يريدنا ان نعترف بها: "احضروا الثور الذي اعطي لهم، ووضعوه على المذبح، وظلوا يدعون باسم البعل من الصباح الى الظهر قائلين: يا بعل استجب لنا، فلم يكن هناك صوت أو مجيب، فراحوا يرقصون حول المذبح المشيد"، يا له من منظر يثير السخرية، فالبعل لا يمكن له ان يستجيب لأنه مزيف، والكاتب مُصّر الى النهاية ان يبرهن عن

نظريته الدينية التي تقول: ان اله زائف لا يمكن له ان يكون فعالاً، وعلى لسان ايليا الساخر يظهر لنا تصوراً نهائياً عن هذا الاله الذي يعبده كهنة البعل، ويتبعه ملك اسرائيل وشعبه، وهذا النبي الساخر يخبرهم بسخرية واضحة: "ادعوا بصوت اعلى، فهو حقاً اله! لعله مستغرق في التأمل، أو في خلوة، أو في سفر، أو لعله نائم فيستيقظ"، انها اجابة تكشف بوضوح، ومن غير لبس، كيف ان الكاتب اراد ان يقدم مقارنة نهائية بين اله عظيم، حقيقي، واله اخر زائف، وهزيل، لا يسمع عابديه نظراً لانشغاله في شيء ما، انه الفارق الحاسم بين عبادات الشرق القديم، وبين عبادة يهوه المتأخرة. اما كهنة البعل ونحن ما زلنا نتبع الكاتب في اهواءه فانهم شرعوا يهتفون بصوت اعلى، ويمزقون اجسادهم بالسيوف والرماح كعاداتهم حتى سال منهم الدم، واخيراً انقضت ساعات الظهر، وظلوا يهذون صارخين حتى حل وقت اصعاد التقدمة المسائية، من غير ان يكون هناك صوت أو مجيب. انها هزيمة حاسمة، انتهت تماماً الايمان بالهة زائفة، التي لا يمكن لها ان تسمع وتستجيب للمؤمنين بها⁽⁴²⁷⁾. لا يمكن التصديق في كل الاحوال ان هذا التحدي هو حقيقة تاريخية، فحتماً تعد هذه الرواية مختلقة، وكان الكاتب يكتب فقط من وجهة نظره اليهودية، ولو-والتاريخ ابعده ما يكون عن لو- تسنى لنا ان نحصل على رواية كنعانية لهذا التحدي-وهو امر لا يمكن تحقيقه- فلرأينا صورة مغايرة تماماً، ربما يظهر فيها البعل وهو يستجيب فوراً الى دعاء عابديه، ويلتهم الاضحية عن طريق نار ترسل من السماء، ولكن الكنعانيين الصامتين، والذين لا يمكن لهم ان يدافعوا يوماً عن عبادتهم، سيظلون دوماً خاسرين، يعبدون الهة، مضحكة، وهزيلة، وزائفة، انه تصور رسمه لهم كاتب يهودي متأخر اراد ان يثبت التمايز بين اليهودية والعبادات الوثنية، حتى ولو اختلفت رواية كاذبة.

⁽⁴²⁷⁾ انظر هذا التحدي في: الملوك الاول، 18: 17-29؛ انظر ايضاً: السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص 206.

ان تقديم القرбан لإله زائف يجلب السخط الالهي على البشر، فعندما ارسل يوشيا(640-609 قبل الميلاد) يستشير النبية خلدة حول مصير يهوذا اجابت رسله: "قولوا للرجل الذي ارسلكم الي، هكذا يقول الرب: ها انا اجلب على هذا الموضوع وعلى اهله كل الوعيد الوارد في سفر الذي قرأه(سفر الشريعة) ملك يهوذا، لانهم نبذوني، واوقدوا لآلهة اخرى، ليثيروا سخطي بما تجنيه ايديهم من آثام ، فأحتدم غضبي الذي لا ينطقى على هذا الموضوع"⁽⁴²⁸⁾. وازاء هذا المصير السيئ لمملكة يهوذا، قرر يوشيا القيام بإصلاح ديني شامل عام 628 قبل الميلاد، من اجل التخلص من العبادات الوثنية، والقرايين التي تقدم لها، والكهنة الذين يقدمون لها القرابين، ومن اجل تطهير ارض يهوذا واورشليم، ومدن منسي، وافرايم، وشمعون، حتى نفتالي وخرائبها المحيطة بها من المرتفعات، وتمائيل عشتاروت، والاصنام، والمسبوكات. ويمكن ان نلاحظ ان اصلاحات يوشيا شملت خمسة جوانب:

1. تدمير الاواني المستخدمة في الطقوس الدينية الخاصة بالآلهة الوثنية: اذ أمر رئيس الكهنة المدعو حلقيا وبقية الكهنة ان يرموا جميع الانية المصنوعة للبعل وعشتاروت، ولكل كواكب السماء، واحرقها خارج اورشليم في حقول وادي قدرون، وحمل رمادها الى بيت ايل.
2. قتل الكهنة المسؤولين عن الطقوس الوثنية: قتل جميع كهنة الاصنام الذين اقامهم ملوك يهوذا السابقون ليوقدوا على مذابح المرتفعات في مدن يهوذا، وضواحي اورشليم، وكذلك قتل الكهنة الذين يحرقون للبعل، وللشمس، والقمر، وللأبراج الفلكية، ولسائر الكواكب، وقتل جميع كهنة المرتفعات المنتشرة في مدن السامرة.
3. انهاء طقوس الشذوذ الجنسي: اذ هدم بيوت ذوي الشذوذ الجنسي القائمة حوالي هيكل الرب، حيث كانت النساء ينسجن ثيابا لتمثال عشتاروت.

⁽⁴²⁸⁾ الملوك الثاني، 22: 14-17؛ اخبار الايام الثاني، 34: 22-25.

4.تدنيس وتدمير اماكن العبادة الوثنية: استدعى يوشيا جميع الكهنة من مدن يهوذا، وذنس كل اماكن العبادة الوثنية في التلال، حيث كان الكهنة يوقدون من جبع الى بئر السبع، وهدم المرتفعات التي كانت قائمة عند مدخل قصر يشوع محافظ المدينة، الى الجانب الايسر من باب المدينة، ولم يدع كهنة المرتفعات (ويبدو هؤلاء يقدمون القرابين للرب وليس للآلهة الوثنية) يستخدمون مذبح الرب في اورشليم، وان شاركوا بقية اخوتهم الكهنة في اكل خبز الفطير. كما دنس الملك ايضا مذبح توفة في وادي هنوم، لكي لا يقدم احد ابنه أو ابنته في النار للصنم مولوك، كما هدم الملك مذابح البعل، والمذابح التي اقامها ملوك يهوذا على سطح غرفة الملك احاز، وايضا المذابح التي بناها منسي في ساحة الهيكل، وسحق حجارتها هناك ثم ذراها في وادي قدرون. كما دنس الملك جميع المرتفعات المواجهة لأورشليم، القائمة عن يمين جبل الهلاك (جبل الزيتون شرقي اورشليم في الجهة المقابلة لوادي قدرون)، التي بناها سليمان ملك اسرائيل لعشتاروت الهة صيدون، ولكموش اله مؤاب، وملكوم اله بني عمون، واحرق كذلك عظام كهنة الاوثان على مذابحهم، وهدم المذبح الذي شيده يربعام بن نباط المؤسس المفترض لمملكة اسرائيل، في مرتفعات بيت ايل، ثم احرقه، وسحق المرتفعة، حتى تحولت الى غبار، كما جمع عظام الموتى المنتشرة مقابرهم حول المذبح واحرقها عليه، من اجل تدنيسه، ثم ازال جميع معابد المرتفعات المنتشرة في مدن السامرة. ويبدو ان قيام الملك بتدنيس المواقع المقدسة الوثنية بعظام الموتى حتى لا يسمح للكهنة ان يقيموا فيها شعائرهم الدينية.

5.تدمير تماثيل الالهة الوثنية: اذ حطم التماثيل الوثنية، ودق الاصنام ناعما، فاخرج تماثيل عشتاروت من هيكل الرب الى خارج اورشليم الى وادي قدرون، واحرقه، وسحقه الى ان اصبح غبارا، وذرى الغبار على قبور عامة الشعب، وحطم تماثيل الشمس في كل ارض اسرائيل، واباد الخيل التي كرسها ملوك يهوذا لإله الشمس عند مدخل بيت الرب بجوار حجرة نثملك مدير شؤون القصر، واحرق

المركبات المكرسة لعبادة الشمس، وقطع اعمدة الاصنام، وملاً مكانها عظام الموتى، وهدم السواري، والتمثيل، والمسبوكات، ودقها، وذرها على قبور الذين قربوا لها⁽⁴²⁹⁾. ان مزيد من الادلة يمكن ان تقدم هنا للبرهنة على ان القربان كثيرا ما يثير حفيظة المؤمنين اذا ما قدم لإلهه زائف كما يثير غضب الله، فبالنسبة لليهودي المتشدد الذي يرفض تماما وجود الهة اخرى مع الهه، فانه لا يسمح بأي شكل من الاشكال ان يقوم اي فرد في الجماعة اليهودية بتقديم قربان الى الهه زائف!! وهذا يتضح جليا في قصة الكاهن متثيا (Mattathias) واولاده، وما نتج عنها من اندلاع الثورة المكابية. وفي شهر (كسلو) كانون الاول عام 167 قبل الميلاد اعلن تطبيق القانون السلوقي في اورشليم وغيرها من مدن يهوذا، وهو قانون لا نقرأ عنها الا في المرويات اليهودية، والذي اصدره انطيوخوس الرابع، ونص على ما يأتي:

- منع قراءة التوراة.
- فرض عبادة الالهة الهلينية على الاسرائيليين واجبارهم على ترك ديانتهم المحلية.
- عدم تقديم المحرقات وسكائب الخمر في الهيكل.
- يُمنع تماما ممارسة تقاليد السبت والاعياد.
- يتم بناء مذابح وهياكل ومعابد للأصنام وأكره السكان على تقديم قربان لها.
- يتم تقديم الخنازير وغيرها من الحيوانات النجسة (على حد تعبير النص) كقربان.
- يمتنع اليهود تماما من ممارسة الختان.
- ان كل من لا ينفذ ما ورد في بلاغ الملك يعرض للموت⁽⁴³⁰⁾.

⁽⁴²⁹⁾ الملوك الثاني، 23: 20-4؛ اخبار الايام الثاني، 34: 3-7؛ انظر ايضا: السواح، ارام دمشق واسرائيل، ص261-

262.

⁽⁴³⁰⁾ المكابيين الاول، 1: 44-51؛ انظر ايضا: الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ج2، ص290.

وفي 15 كانون الاول صدر امر الملك انطيوخوس الرابع بتحويل معبد اورشليم الى معبد الاله زوس الاولمبي (المطابق للإله بعل الفينيقي)، وتكريس هيكل جبل جزريم للإله زووس حامي الغرباء، كما اقيمت مذابح الالهة الهلينية في جميع انحاء يهوذا⁽⁴³¹⁾. وكلف الملك احد موظفيه ويدعى جيرون الاثيني الى اورشليم للإشراف على تطبيق القانون، فكان اثر هذا العمل شديدا على الشعب الاسرائيلي، اذ بدأت السلطة السلوقية بتطبيق حملة اضطهاد واسعة لكل من رفض القانون، فتم تمزيق اسفار الشريعة واحراقها بالنار، وكل من وجد عنده نسخة من التوراة أو اتبع احكام الشريعة كان يُقتل بأمر الملك، كما قُتل النساء اللواتي ختن اولادهن، وعُلق الاطفال المختونون من اعناقهم، وقُتل جميع افراد عائلاتهم والذين ختنوهم، وقيل احد وشى بامرأتين ختنتا اولادهما فعلقوا اطفالهما على اثدائهما وطافوا بهما في المدينة علانية، ثم رموا بهما عن السور. وحدد يوم 25 من كل شهر موعدا لتقديم الذبائح على مذبح زووس الاولمبي الذي اقيم فوق المذبح اليهودي، كما امتلأ الهيكل فسقا وفجورا، حتى ان الغرباء اخذوا يمارسون انواع العهر، ويضاجعون النساء داخل الاماكن المقدسة، ويدخلون اليها المحرمات. وكانت تقدم على المذابح ذبائح حرمتها الشريعة. ولم يكن مسموحا لاحد ان يمارس تقاليد السبت، والاعياد القومية، لذا التجأ بعض اليهود الى مغاور قريبة حتى يمارسوا تقاليد السبت سرا، فوشي بهم الى فيليبس حاكم اورشليم، فأحرقهم بالنار دون ان يدافعوا عن انفسهم احتراما منهم لهذا اليوم. وكان الاسرائيليين يساقون في عيد مولد الملك بالقوة الى الاكل من ذبائح الاوثان، وفي عيد باخوس اله الخمر الاغريقي كانوا يجبرون على الطواف في موكب التكريم، وعليهم اكاليل من غصون اللبلاب. وأصدر امرا الى المدن الاغريقية المجاورة ان يجبروا اليهود هناك على ان يفعلوا الشيء ذاته، وعلى المشاركة في اكل ذبائح الاوثان، وان من

⁴³¹ المكابيين الاول، 1: 54؛ المكابيين الثاني، 6: 1-2.

يرفض تطبيق العادات الاغريقية يعاقب بالموت، وهكذا أضطهد على مدى اشهر جميع الاسرائيليين الذين رفضوا القانون السلوقي⁽⁴³²⁾.

انقسم الاسرائيليون بين مؤيد ومعارض لهذا القانون، اذ ان كثيراً منهم وافقوا على تقديم الذبائح للآلهة الوثنية، ولم يحافظوا على تقاليد السبت، اما الاسرائيليون المخلصون (على حد تعبير النص) الذين رفضوا القرار الملكي وكان عليهم الاختباء والبحث عن اماكن يلجؤون اليها، اذ رفضوا تماما تناول الاطعمة النجسة حسب الشريعة اليهودية، وفضلوا الموت على ذلك، كما رفضوا ان يندسوا العهد المقدس مع الرب⁽⁴³³⁾. وعندما وصل موظف سلوقي الى قرية مودين (Modein) (المدينة حالياً بين بيت لحم واللد) التي كانت فيها جماعة يهودية، طلب هذا الموظف من الناس احترام الملك عن طريق تطبيق تقديم الاضاحي الى الازباب الهلينية، انها فضيحة لكل يهودي مؤمن!!، وهنا ينقل لنا الكاتب اليهودي حواراً جرى بين ذلك الموظف السلوقي والكاهن متثيا بن يوحنا بن سمعان، ومن اجل ان نفهم موقف السلطة السلوقية من جهة، وموقف المعارضين من جهة ثانية لابد من استعراض ذلك الحوار الذي دار بينهما:

- الموظف السلوقي: انت سيد ورجل شريف وعظيم في هذه المدينة، ولك من البنين والاخوة ما يدعم مكانتك، فتقدم وكن هنا اول من يطيع امر الملك، كما فعلت الامم كلها بمن فيهم شيوخ يهوذا ومن بقي حياً في اورشليم، هكذا تصير انت واهل بيتك من اصدقاء الملك، فيكرمك انت وبنيك بالذهب والفضة والهدايا الكثيرة.
- الكاهن متثيا: ان اطاعت الملك كل الامم الخاضعة لسلطانه ورضي كل واحد ان يرتد عن دين ابائه، فأنا وابنائى واخوتي نبقى على عهد الله لإبائنا ،

⁴³² المكابيين الاول، 1: 56-61؛ المكابيين الثاني، 6: 3-10.

⁴³³ المكابيين الاول، 1: 43، 52-53، 62-63.

فنحن لن نترك الشريعة والاحكام، ولن نصغي لكلام الملك، فنحيد عن ديننا
يميناً ويساراً.

وعندما انتهى متثيا كلامه تقدم يهودي ليقدم ذبيحة على المذبح في مودين، فلما رأى
متثيا ذلك انتفض وثار تائرتة، ولم يقدر ان يكبح جماح غضبه، فهجم على
اليهودي وقتله على المذبح، وقتل ايضا الموظف السلوقي، وهدم المذبح فكان ذلك
بداية لاندلاع الثورة المكابية⁽⁴³⁴⁾. كما تكرر الامر ذاته عندما اندلعت ثورة الجماعة
اليهودية بقيادة اليازار ابن انانياس نيدباي الكاهن الاعلى السابق لمعبد اورشليم عام
66م عندما قام بايقاف الاضاحي على شرف الامبراطور الروماني نيرون (54-68م)⁽⁴³⁵⁾.
كانت المذابح المخصصة للآلهة الزائفة مصيرها الدمار سواء على يد المؤمنين
أو الرب نفسه، والكهنة الذين يقدمون عليها القرابين مصيرهم الموت، كما تؤكد
روايات العهد القديم، فجدهون بن يُواش قام بهدم مذابح البعل بأمر من الرب،
واقام محله مذبح للرب قدم عليه الاضاحي: "قال الرب لجدهون في تلك الليلة⁽⁴³⁶⁾:"
خذ ثورا كامل النضج من قطيع ابيك، وثورا ثانيا عمره سبع سنوات، واهدم مذبح
البعل الذي يعبده ابوك، واقطع نُصب عُشتاروت الذي في جواره، وابن مذبحا للرب
الهك على رأس تلك الصخرة، ورتب حجارتها في المكان المعد، وخذ الثور، واصعد
مُحرقة على خشب النُصب الذي قطعته". ونفذ جدهون امر فأخذ عشرة رجال من
عبيده، وهدم مذبح البعل⁽⁴³⁷⁾. وعندما فرض انطيوخوس الرابع القانون السلوقي
على الاسرائيليين، واعلن المؤمنين رفضهم الحاد له كما اسلفنا، قام الكاهن متثيا
بهدم المذبح المخصص لتقديم القرابين للآلهة الهلينية⁽⁴³⁸⁾: كما قام هذا الكاهن

⁴³⁴ المكابيين الاول، 2: 15-25؛ انظر ايضا: الاحمد، تاريخ فلسطين القديم، ص302.

⁴³⁵ الاحمد، تاريخ فلسطين القديم، ص346.

⁴³⁶ الليلة التي التقى فيها جدهون بملك الرب وجها لوجه.

⁴³⁷ قضاة، 6: 25-27.

⁴³⁸ المكابيين الاول، 2: 25.

واتباعه بتدمير المذابح الوثنية في كافة ارض اسرائيل⁽⁴³⁹⁾. وعندما هاجم ابنه يهوذا المكابي اشدود عام 164 قبل الميلاد هدم المذابح هناك واحرق تماثيل الالهة بالنار⁽⁴⁴⁰⁾. وحادثة يربعام تؤكد ضرورة تدمير المذابح الوثنية ولكن هذه المرة من قبل يهوه ذاته، فهذا الرجل الذي يعد في التقاليد اليهودية المؤسس لمملكة اسرائيل (الشمالية) اقام مذبحا في بيت ايل من اجل تقديم القرابين لاحد العجلين التي اقامهما للعبادة بديلا عن الرب، هذا المذبح الذي يقرر الرب ان مصيره الدمار: "اهدم...مذابح بيت ايل، وتقطع قرون المذبح، وتهاوى على الارض"⁽⁴⁴¹⁾. لذا وبينما كان يربعام واقفا على المذبح ليوقد عليه، اقبل رجل الله (نبي) من يهوذا الى بيت ايل حاملا رسالة من الرب، وهتف مخاطبا المذبح بحكم الرب قائلا: "يا مذبح، يا مذبح، هذا ما يقوله الرب: سيولد لبيت داود ابن يدعى يوشيا، فيذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يقربون عليك، وتحرق فوقك عظام الناس"، وتأيدا لكلامه اعطى في ذلك اليوم علامة تؤكد ان الرب هو الذي تكلم اذ قال: "هوذا المذبح ينشق ويُذرى الرماد الذي عليه". فلما سمع يربعام كلام رجل الله الذي خاطب به المذبح في بيت ايل، رفع يده من على المذبح، ومدها نحو النبي صارخا: "اقبضوا عليه"، فبيست يده التي مدها، وعجز عن ردها، وعند ذلك انشق المذبح، وذُري الرماد من عليه كما تكلم رجل الله نيابة عن الرب. اما يربعام -الذي بلا شك اصيب برعب شديد من جراء تلك المعجزة!!!- فقد توسل لرجل الله قائلا: "تضرع الى الرب الهك، وصلي من اجلي لترتد يدي الى طبيعتي"، فابتهل رجل الله الى الرب، فعادت يد الملك الى طبيعتها⁽⁴⁴²⁾. تكشف هذه الحادثة عن امور مهمة لابد من الوقوف عليها، ف يربعام الذي ابتكر ديانة جديدة تقوم على عبادة عجلين اقامهما في بيت ايل ودان كما يخبرنا الكاتب اليهودي،

⁽⁴³⁹⁾ المكابيين الاول، 2: 45.

⁽⁴⁴⁰⁾ المكابيين الاول، 5: 68.

⁽⁴⁴¹⁾ عاموس، 3: 14.

⁽⁴⁴²⁾ الملوك الاول، 13: 6-1.

وهي بلا شك الديانة الاقدم قبل اليهودية، كان قد ارتكب خطيئة عظيمة من منظور الكاتب اليهودي، وهي اقامة الهة زائفة تحظى بالعبادة بديلا عن الرب، وهذا امر لا يمكن السكوت عنه، ومن اجل ان يبرهن الرب انه الاله الاوحد ارسل احد انبيائه الى يربعام اثناء قيامة بتقديم قرابينه الى الهته الجديدة الزائفة محذرا اياه بأن الرب سيحطم المذبح وهو امر حدث اثناء وجود الملك لكي يتم الاثبات ان الرب هو الذي قدم حكمه، ومن ثم فإن هذا النبي يقدم ليربعام صورة مستقبلية عن الكهنة الزائفين الذين يقدمون قرابينهم لهذه الالهة الزائفة، هذه الصورة التي تنطوي على مصير محزن ومأساوي لهؤلاء الكهنة وهو الموت.

التقوى ام القربان

ان العبادة في المعتقدات اليهودية تتركز بالدرجة الاولى حول الاضاحي الدموية، ولكن هذه العبادة قد انتقدت من قبل انبياء العهد القديم، اذ انها لم تكن ممتزجة بالعناصر الكنعانية فحسب، ولكن الكهنة والشعب عدوا النشاط الشعائري وكأنه الشكل الكامل للتعبد. وعليه، اعلن الأنبياء انه من العبث البحث عن يهوه في المعابد، فالرب يحتقر الاضاحي، والاعياد والحفلات⁽⁴⁴³⁾،: "ان من ينحرفوا كمن يقتل انسانا، ومن يقرب حملا كمن يكسر عنق كلب، ومن يُصعد تقدمة حنطة كمن يقدم دم خنزير، ومن يحرق بخورا كمن يبارك وثنا"⁽⁴⁴⁴⁾. وحتى في افضل الحالات التي يظهر فيها الرب وهو لا يكره الذبائح كما نقرأ: "لست اوبخك (أي اسرائيل) على ذبائحك فإن مُحرقاتك هي دائما قدامي"⁽⁴⁴⁵⁾، الا انه لا يهتم بها، كما ان مُقدمها لن يستفيد منها طالما ان مصير البشرية واحد: "اذ الجميع معرضون لنفس المصير، الصالحون والطالحون؛ الاخيار والاشرار؛ الطاهر والنجس؛ المُقرب للذبائح وغير المقرب..."⁽⁴⁴⁶⁾. وهذا المصير لن يكون غير الموت، فن: "الاحياء يدركون انهم سيموتون"⁽⁴⁴⁷⁾. فإذا كان القربان لا يغير شيء من مصير الانسان، والتالي لن يجد مقربه جدوى من تقديمه، فما هو موقف الرب منه؟ وهل سيشعر ان للقربان المقدم له اهمية تُذكر؟

ان الرب في كل الاحوال لا يحتاج للذبائح، بل ان الحيوانات كلها لا تكفي ابدا لقربان الرب: "لبنان بأسره لا يكفي ان يكون للوقود، وحيوانه لا يكفي لذبيحة

⁴⁴³ (البيادة، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ج1، ص432.

⁴⁴⁴ (اشعيا، 66: 3.

⁴⁴⁵ (مزامير، 50: 8.

⁴⁴⁶ (الجامعة، 9: 2.

⁴⁴⁷ (الجامعة، 9: 5.

مُحْرَقَةٌ"!!!⁽⁴⁴⁸⁾. لذا فهو لا يريد لها: "فما كنت لأخذ من بيتك ثورا، ولا من حظائك تيسا"⁽⁴⁴⁹⁾، لأنها لا تسره ولا ترضيه، ومن ثم ليس هناك جدوى من تقديمها من البشر: "انك لا تسر بذبيحة، والا كنت اقدمها، (وانت)بمُحْرَقَةٌ لا ترضا"⁽⁴⁵⁰⁾.

لكن لماذا لا يريد الله هذه الذبائح رغم انها واجب على البشر؟

ان الله لا يريد ان يقدم اليه ما هو ملكه!!: "لان جميع حيوانات الغابة ملكي، وذلك الهائم المنتشرة على الوف الجبال، انا عالم بجميع طيور الجبال، وكل مخلوقات البراري هي لي"⁽⁴⁵¹⁾، وهكذا لا يمكن ان تقدم ما يمتلكه الله اليه، فالرب حتى وان جاع لا يحتاج الى البشر: "ان جعت لا التمس منك حاجتي لان لي العالم وكل ما فيه"⁽⁴⁵²⁾، ولكن حتى هذا الجوع لا يمكن ان يحدث ابداء، فالرب لا يأكل ولا يشرب انه متعال عن الصفات البشرية: "هل اكل لحم الثيران، أو اشرب دم التيوس؟"⁽⁴⁵³⁾.

اذا لم يقدم البشر لله الذبائح، فماذا يقدمون؟ ما هو الشيء الذي قد يتفوق على هذا الواجب الرئيس المفروض على البشر؟. وتعبير اخر: ما هو الشيء المهم الذي سيحل محل الاضاحي؟

الاعمال هذا ما يتفوق الانسان، وليس الذبائح والدماء والمُحْرَقَات، فالله يراقب جميع طرق الانسان ليُجازي كل واحد حسب تصرفاته، وثمار اعماله⁽⁴⁵⁴⁾: "يجازي(الله) الناس بحسب اعمالهم ونياتهم"⁽⁴⁵⁵⁾. والانسان السعيد هو من يرضي

⁴⁴⁸ اشعيا، 40: 16.

⁴⁴⁹ مزامير، 50: 9.

⁴⁵⁰ مزامير، 51: 16.

⁴⁵¹ مزامير، 50: 10-11.

⁴⁵² مزامير، 50: 12.

⁴⁵³ مزامير، 50: 13.

⁴⁵⁴ ارميا، 32: 19.

⁴⁵⁵ يشوع بن سيراخ، 35: 24.

الله عن اعماله : "امض وتمتع بأكل طعامك وشرايك، واشرب خمرك بقلب منشرج، لان الرب رضي الان عن اعمالك"⁽⁴⁵⁶⁾، انه تفاؤل مفعم بالأمل، فالإنسان لن يحتاج ان يستهلك كميات كبيرة من الاضاحي ليحصل على رضا الالهية، بل سيحتاج فقط الى العمل الصالح لكي يجعل منه انسان سعيد. غير اننا رغم ادراكنا اهمية العمل الصالح وتفوقه على القربان والطقوس، لكننا من حقنا ان نفهم أي عمل هو الذي سيفضله الرب؟

ان مخافة الرب هي الصفة الالهية التي يجب ان يتصف بها الانسان الصالح: "الذي يخاف الرب لا يفتقر الى شيء، ولا يحتاج الى معونة احد. مخافة الرب جنة مباركة، ومجدها فوق كل مجد"⁽⁴⁵⁷⁾. والتقوى هي ما يجب ان يتحلى به الانسان، فالقربان لا يمكن له ان يخلص الانسان من الذنوب: "أ يمكن للحم الذبائح المقدس ان يصرف عنك عقابك؟ عندما تنغمسين في شرك..."⁽⁴⁵⁸⁾؛ ويشوع بن سيراخ يقول ناصحا ابنه: " لا تخطئ مرتين فواحدة كافية للعقاب، ولا تقل: يراعي الله كثرة قرباني ويقبلها اذا قدمتها له"⁽⁴⁵⁹⁾، لان كثرة الذبائح لا تؤدي الى غفران الخطايا⁽⁴⁶⁰⁾. فالتقوى خير من القربان هذا ما تؤكدُه النصوص المتوفرة، فالتسبيح باسم الله افضل من الاضاحي: "اسبح اسم الله واعظمه بحمد، فيطيب ذلك لدى الرب اكثر من مُحرقَة ثور أو عجل"⁽⁴⁶¹⁾. وصلاة المستقيمين تسر الرب اكثر من قربان المنافقين⁽⁴⁶²⁾. لان الصلاة بالنسبة للرب تحل محل البخور، والدعاء يوازي التقدّمات: "لتكن صلاتي

⁴⁵⁶ الجامعة.9: 7.

⁴⁵⁷ يشوع بن سيراخ، 40: 26-27.

⁴⁵⁸ ارميا، 11: 15.

⁴⁵⁹ يشوع بن سيراخ، 7: 8-9.

⁴⁶⁰ يشوع بن سيراخ، 34: 19.

⁴⁶¹ مزامير، 69: 30.

⁴⁶² امثال، 15: 8.

امامك كالبخور، ورفع يدي مثل مقدمة المساء"⁽⁴⁶³⁾. وهناك الطاعة المطلقة للرب التي تتفوق على القربان، فالأساس هو التقيد بأوامر الرب وليس تقديم القربان: "اضيفوا مُحرقاتكم الى ذبائحكم، وكلوا لحمها، فأنا لم اكلم اباءكم، ولم امرهم يوم اخرجتهم من مصر بشأن مُحرقاة أو ذبيحة، انما اوصيتهم ان يطيعوا صوتي، فأكون لهم الهًا، ويكونون لي شعبًا، وان يسلكوا في كل الطريق الذي اوصيتم به، فينالوا خيرا"⁽⁴⁶⁴⁾. وان التواضع والعدل والرحمة كلها يفضلها الرب على المُحرقات، فإجراء العدل والحق اكثر قبولًا عند الرب من الذبيحة"⁽⁴⁶⁵⁾. وميخا يتساءل عن هذا الامر، ويحسم امره مفضلًا السلوك الجيد على القربان: "ماذا اقدم عندما امثل امام الرب، واسجد في حضرة الله العلي؟ هل اتقدم منه بمُحرقات وبعجول حولية؟ هل يسر الرب بألوف انهار زيت؟ هل اقرب بكري فداء اثمى، وثمره جسدي تكفيرًا عن خطيئة نفسي؟ لقد اوضح لك الرب ايها الانسان ما هو صالح. وماذا ينبغي منك سوى ان تتوخي العدل، وتحب الرحمة، وتسلك متواضعًا مع الهك"⁽⁴⁶⁶⁾. والرب يعلن سروره بالرجل المتواضع المنسحق الروح الذي يرتعد من كلماته"⁽⁴⁶⁷⁾.

⁴⁶³ مزامير، 141: 2.

⁴⁶⁴ ارميا، 7: 21-23. بلا شك هذا الكلام من الرب يناقض اوامره التي امرها شعبه عندما خرجوا من مصر كما

تدعي التقاليد اليهودية!!!

⁴⁶⁵ امثال، 21: 3.

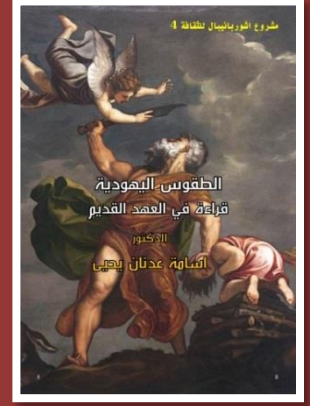
⁴⁶⁶ ميخا، 6: 6-8.

⁴⁶⁷ اشعيا، 66: 2.

المحتويات

7	مفهوم العبادة اليهودية: قراءة نصية
21	لماذا يقدم القران
41	مواعيد تقديم القران
45	اماكن العبادة
57	الكهنة
73	السلوك الاخلاقي والوضع الاجتماعي والصحي والطهارة للمتعبد
85	طرق وشروط تقديم القران
97	احراق وازاقة
99	تناول الانسان للقران
103	قبول القران
107	خطيئة واصنام وشياطين
133	التقوى ام القران

الطقوس اليهودية قراءة في العهد القديم د. اسامة عدنان يحيى



تشير الأدلة المتوفرة ان ديانة يهوه الواردة في العهد القديم لم تأت من الخارج مع جماعات مهاجرة كما يفترض هذا الكتاب بل تطورت داخل المؤسسة الدينية الكنعانية، فالمسح الأثاري لجميع المراكز السكانية في فلسطين من أكبر المدن الى اصغر القرى، لم يجد اثرا للمعتقدات والطقوس التوراتية خلال كامل المدة السابقة على السبي البابلي ليهودا؛ فلا هياكل للإله يهوه التوراتي، ولا معابد، ولا مذابح، ولا نقوش تذكره بالطريقة التي تقدمه بها الاسفار التوراتية. وبالمقابل كان هناك في فلسطين اله اسمه يهوه، ولكنه غير يهوه اله العهد القديم وفي اهميته وصفاته، لأنه يظهر في نقوش قليلة الى جانب بقية الالهة الكنعانية مثل: ايل، وبعل، وتذكر الى جانبه زوجته المدعوة عشيرة، والتي كانت في النصوص الكنعانية والاوغاريتية زوجة الاله ايل.